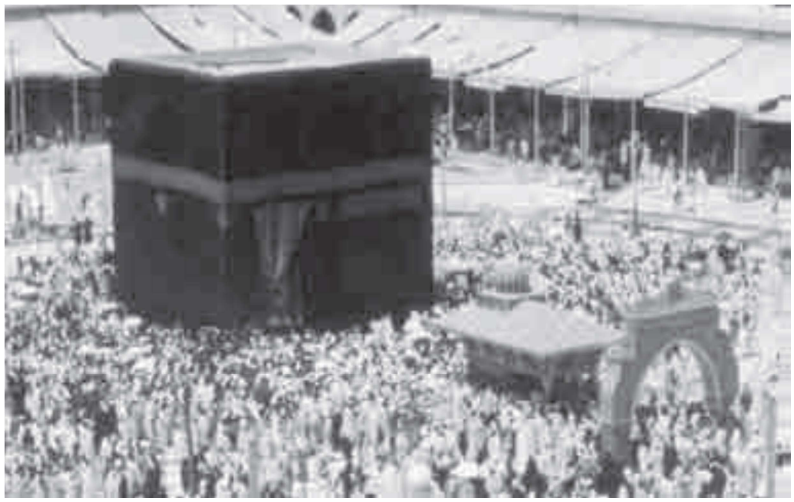

الأصنام (٢)

الأستاذ: محسن الأسدي

فقرآنياً هذه معبوداتهم:

فإنّ هناك من الناس من يعبُدون الشمس والقمر، ويعبدون الكواكب والنجوم، وجميعها ـ بلا شك ـ تُضلُّ عن ذكر الله تعالى؛ وقد نهاهم الله تعالى وبالذات العرب عن عبادة تلك الكواكب قائلاً: ﴿**لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ...**﴾، ونحن نشير فقط إلى ﴿**ٱلشِّعْرَى**﴾، لنصّ قرآنيّ ـ تذكيراً لهم ـ على أنه تعالى هو ربُّها وموجدها، وإنّ هو سبحانه

ربٌّ لغيرها... نقف عندها قليلاً، ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَى**﴾.[١]

وهي لغةً:

من الفعل شَعَرَ؛ شَعَرَ به... تعني: عَلِمَ به، وفطن له، وعقله. ومنه شِعارُ القوم: علامتهم في السفر.

واَشْعَرَ القومُ في سفرهم: جعلوا لأَنفسهم شِعاراً.

وأشْعَرَه الأَمْرَ: أعْلَمَه الأمر. وهو بالتالي علامة، فهو علامة عند العرب على قرب هطول الأمطار، وعلامة يسترشدون به في رحلاتهم وتنقلاتهم وبه يعرفون فصول السنة.

وعلمياً هو كوكب متوهج يتبع الجوزاء، وحين يطمس الصبح أنوار كل الكواكب، يُرى نجم الشعرى، وذلك قبل شروق الشمس وكأنه يعصي الصباح بضوئه المتمرد. وقد كتب عنه الكثير..

يقول القرطبي:

﴿**ٱلشِّعْرَى**﴾، الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدّة الحرّ، وهما الشّعريان العَبُور التي في الجوزاء، والشِّعرى الغُمَيْصَاءُ التي في الذراع؛ وتزعم العرب أنهما أختا سُهَيل.

وذكرت له أسماء عديدة:

منها:

المِرْزَم، و كلب الجبار، و يد الجوزاء، والعبور، والمزن.

وكان قدماء المصريين والفراعنة يُقدسونه؛ لأن له علاقة ـ كما يعتقدون ـ بفيضان نهر النيل، الذي يحدث عندما تخرج الشمس من جهة موقع الشعرى. وأنَّ خروجه يكون

---

١. سورة النجم : ٤٩ .

متبوعاً بأمطار غزيرة، كما أنه من أجمل النجوم وألمعها، وأقربها إلى الأرض، فتسهل رؤيته.

وكان هذا النجم محل تعظيم عند العرب، فخروجه يُعدُّ عندهم علامة عن قرب هطول الأمطار، ومن هنا جاء قولهم:

إذا طلع المرزم ـ وهو الشعرى ـ يملأ المحزم.

وبه عرفوا الفصول فقال شاعرهم

مضى أيلول وارتفع الحرور وأخبت نارها الشعرى العبور

وأيضاً راحوا يسترشدون به في رحلاتهم...

عبادته:

وأما عن عبادة العرب له، فقد عبدته خُزاعة ومعها حمير وغيرهم، ومن لم يعبدها عظّمها، هكذا ذكروا.

فالقرطبي يقول: وإنما ذكر أنه رَبُّ الشِّعْرى وإن كان ربًّا لغيره؛ لأنَّ العرب كانت تعبده؛ فأعلمهم الله جلَّ وعزَّ أنّ الشِّعْرى مربوب وليس بربّ. وٱختلف فيمن كان يعبده:

فقال السدي: كانت تعبده حِمْير وخُزَاعة.

وقال غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبيّ ﷺ من قبل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبيّ ﷺ ٱبن أبي كبشة حين دعا إلى الله وخالف أديانهم؛ وقالوا: ما لقينا من ابن أبي كبشة! وقال أبو سفيان يوم الفتح، وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله ﷺ تمرّ عليه: لقد اَمرَ اَمْرُ ٱبنِ أبي كبشة.

ثمَّ يقول: وقد كان من لا يعبد الشِّعْرى من العرب يعظّمها ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر:

مضَى اَيْلُولُ وٱرتفعَ الحَرُورُ وأخْبَتْ نارَها الشِّعرى العَبُورُ

ابن عاشور:

وكان كوكب الشعرى عبدتْه خزاعة والذي سنّ عبادته رجل من سادة خزاعة يكنَى

أبا كبشَة. واختلف في اسمه ففي «تاج العروس» عن الكلبي أن اسمه جَزْء (بجيم وزاي وهمزة). وعن الدارقطني أنه وَجز (بواو وجيم وزاي) بن غالب بن عامر بن الحارث بن غُبشان كذا في «التاج»، والذي في «جمهرة ابن حزم» أن الحارث هو غُبشان الخزاعي. ومنهم من قال: إن اسم أبي كبشة عَبْد الشِعرى. ولا أحسب إلاّ أنّ هذا وصفٌ غلب عليه بعد أن اتخذ الشِّعرى معبوداً له ولقومه، ولم يعرج ابن حزم في «الجمهرة» على ذكر أبي كَبشة.

والذي عليه الجمهور أن الشّعرى لم يعبدها من قبائل العرب إلاّ خزاعة. وفي «تفسير القرطبي» عن السدّي أن حمير عبدوا الشعرى.

وكانت قريش تدعو رسول الله ﷺ أبا كبشة لمخالفته إياهم في عبادة الأصنام، وكانوا يصفونه بابن أبي كبشة. قيل: لأن أبا كبشة كان من أجداد النبي ﷺ من قِبل أمه يُعرِّضون أو يموّهون على دهمائهم بأنه يدعو إلى عبادة الشِعرى يريدون التغطية على الدعوة إلى توحيد الله تعالى، فمن ذلك قولهم لما أراهم انشقاق القمر: «سَحركم ابن أبي كبشة»، وقول أبي سفيان للنفر الذين كانوا معه في حضرة هرقل: «لقد أمرَ اَمْر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر.[1]

وإلاّ فعباداتهم الأساسية كانت تنصب على الأوثان والأصنام، وجميعها تدخل تحت السؤال الإنكاري والاستفهام التوبيخي في قول نبيِّ الله وخليله إبراهيم عليه السلام:

﴿**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾،[2]

فهو استفهام معناه الإنكار والتوبيخ، أي كيف يصحّ أن يعبد الإنسان ما يعمله بيده؟!

---

[1]. انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١ هـ)؛ وتفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور: الآية.

[2]. سورة الصافات ٩٥ ـ ٩٦ .

﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾، أي وخلق ما عملتم من الأصنام، فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم؟!

فإنهم كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم، هياكل صنعوها، وإن تنوعت واختلفت، إلاّ أنّ الكلمة اتفقت على أنها كلّ ما يعبد من دون الله تعالى، والشرك في جميع القرون ظهر واضحاً عبر عبادة الإنسان لغير الله تعالى، أو باتخاذهم شركاء لله في العبادة، يتمثل عملهم هذا بمعبودين أو بمعبودات عديدة سماويّة كالكواكب أو أرضية أو بشرية أومالية أو نفسية كالهوى...، وما يهمنا في مقالتنا هو تلك المعبودات الأرضية، التي ذكرها التنزيل العزيز دون التي تفرّدت بذكرها الأخبار وهي كثيرة، وقد نشير إشارة مجملة لها أثناء البحث، والمعبودات الأرضية في حياة الإنسان وفي عقائده تتمثل بأربعة أنواع أو أشكال اتخذها آلهة، راح يبني علاقته الروحية معها بعيداً عن الإله الحق عزَّ وجلَّ، وهي كما ذكرها التنزيل العزيز:

الأصنام.

التماثيل.

الأوثان.

النُصب.

وهذه جميعها صار الإنسان الخارج عن دائرة الإيمان بالله تعالى يؤدي إليها ولاءه ومودته وعبادته، ويتقرّب إليها بعمله وماله ونفسه، ينتظر بركاتها، يرجو شفاعتها... فهي تدخل ضمن الطاغوت، وهو كلّ ما يُعبد من دون الله تعالى، وقد نهت السماء في آيات عن كلّ ذلك، حتى صار النهيُ عنها هو المسؤولية الرئيسية لكل بعثة إلهيّة: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ**

الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.[١]

وراحت السماء تُثني على من يجتنب عبادتها وتُثيبه ثواباً عظيماً.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَ أَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ...﴾.[٢]

الأصنام:

لغةً: صَنَّمَ فلانٌ: صَنَعَ صَنَماً. و ـ الشيءَ: مَثَّلَهُ على صورة صَنَم.

(الصَّنَمُ): تمثالٌ من حَجَرٍ أو خشبٍ أو معدنٍ ؛ كانوا يزعمون أنَّ عبادته تقربهم إلى الله. (ج) أصنام. وفي التنزيل العزيز: **﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾**. (الصَّنَمَةُ): الصَّنَمُ.

الصَّنَمُ معروفٌ واحدُ الأَصْنامِ يقال: إنه معرَّب شَمَنْ وهو الوَثَن. قال ابن سيده: وهو يُنْحَتُ من خَشَبٍ ويُصَاغُ من فضة ونُحاسٍ والجمع أصنام، ... وقد تكرر في الحديث ذكرُ الصَّنَمِ والأَصنام وهو ما اتُّخِذَ إلهاً من دون الله.

في التنزيل العزيز ذكرت الأصنام خمس مرات في الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾.[٣]

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَآئِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسىٰ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.[٤]

---

١ . سورة النحل : ٣٦ .

٢. سورة الزمر : ١٧ .

٣. سورة الأنعام : ٧٤ .

٤. سورة الأعراف : ١٣٨ .

﴿... وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِناً وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ﴾.[١]

﴿وَتَٱللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾.[٢]

﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾.[٣]

التماثيل:

كل ما يصنع على مثال سابق..

فالتماثيل لغةً: من الفعل مَثَلَ، ويقال: مَثَلَ فلاناً فلاناً، وبه: شبَّهه به وسوَّاه. ومَثَلَ التماثيلَ: صوَّرها بالنحت.

تَمْثال، والاسم: تِمْثال. والجمع: تماثيلُ: مصدر مَثَّلَ

فالتِّمْثَالُ: وهو الصورةُ التي تماثل الشيء الأصلي، وتكون مجسمةً والمصنوعةُ من رُخامٍ أو نحاسٍ أو خَشَبٍ، يُشَبَّه بخَلْقِ الآدميِّ وغيرِه من الحيوانات. مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به. فهو اسم ذات، يُنحت مُشبَّهًا بالمخلوقات من عباد وحيوان وغيرها. فالتمثال مرّةً يكون لشيءٍ ذي روح وفيه حياة، وهو الغالب، ومرّةً يكون لجماد...

قال امرؤ القيس:

فيا رُبَّ يومٍ قد لَهَوْتُ ولَيلةٍ ... بآنِسَةٍ كأنَّها خَطُّ تمثالِ

من الفعل مَثَلَ، ويقال: مَثَلَ فلاناً فلاناً، وبه: شبَّهه به وسوَّاه. ومَثَلَ التماثيلَ: صوَّرها.

---

١. سورة إبراهيم : ٣٥ .

٢. سورة الأنبياء: ٥٧ .

٣. سورة الشعراء : ٧١ .

وفي التنزيل العزيز ذكرت التماثيل مرّتين ولكن بنحوين مختلفين:

النحو الأول:

تماثيل تعبد من دون الله تعالى، كما جاء في هذا المقطع بآياته من سورة الأنبياء:
﴿... إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِى أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُواْ وَجَدْنَآ آبَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ فِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾.[1]

النحو الثاني:

تماثيل لا تُعبد من دون الله تعالى؛ بل هي نعمة من نعمه تعالى كتلك التي كان الجنُّ يصنعونها مع ما يعملون من أشياء عديدة كانت مباحةً لا حرمة فيها لنبيِّ الله سليمان عليه السلام، فهي لا تعبد من دون الله تعالى:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ٱعْمَلُواْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾.[2]

ومعنى هذا أنَّ هناك العديد من النعم التي تفضّل بها الله تعالى على نبيّه سليمان عليه السلام، ومنها أن جعل عمل التماثيل واحدة من نعمه تعالى، وقد سخّر بها الجنَّ، جاء ذلك في هذه الآية في سياق تعدادها لما منَّ الله به على سليمان عليه السلام، ولعلَّ هذا يبيّن أنَّها لم تكن في زمن هذا النبيّ تُعبد من دون الله تعالى، وبالتالي فوجودها بين يدي سليمان لا يوحي للآخرين شيئاً، ولا تشكل خطراً ولا شائبة تُعكّر عقيدة التوحيد ونقاءها!

---

١. سورة الأنبياء : ٥٢ ـ ٥٤ .

٢. سورة سبأ : ١٢ ـ ١٣ .

فيما تلك التماثيل، التي عاصرها نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام وحاربها بلا هوادة، إنما يُراد بها التأليه أو الشرك، أي الاعتقاد بألوهيتها.. و نوح قبل نبيِّ الله إبراهيم قد حاربها، وكان يدعو ـ وهذا شأن الأنبياء والرسل وهدفهم جميعاً من قبل ومن بعد ـ إلى عبادة إله واحد و هو الله سبحانه وتعالى لا غير.

الأوثان:

أما الوَثَنُ وهو في اللغة من الفعل وَثَنَ؛ وَثَنَ الشيءُ بالمكان يَثِنُ وَثْناً: أقام وثبت فهو واثن، الجمع: وُثَّنٌ.

والوَثْنُ والوَاثِنُ: المقيم الراكد الثابت الدائم، وقد وَثَنَ، الواثن والواتن لغتان، وهو الشيء المقيم الراكد في مكانه؛ يُروى بالثاء والتاء،.. والوَثَنُ: التمثال يُعبدُ سواء أ كان من خشب أم حجر أم نحاس أم فضَّة أم غير ذلك. والجمع: أوثان و وُثُنٌ.. والوَثَنُ: الصنم ما كان، وقيل: الصنم الصغير... والوثنية: مذهب عبدة الأوثان، والوثنيُّ: من يتدين بعبادة الوثن. يقال: و ثني للمذكر، و ثنية للمؤنث. و قوم وثنيُّون، و نساء وثنيّات.. و في الحديث: شاربُ الخمركعابدِ وَثَنٍ.

قال ابن الأَثير:... اَصل الأَوْثانِ عند العرب كل تِمْثالٍ من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدها وكانت النصارى نصبت الصَّليب وهو كالتِّمْثال تُعَظِّمُه وتعبده، ولذلك سماه الأَعشى وَثَناً:

تَطُوفُ العُفاةُ بأبْوابه كطَوْفِ النَّصارى ببَيْتِ الوَثَنْ

أراد بالوَثَنِ الصليب.

وقال عَدِيُّ بن حاتم: قدمت على النبيِّ ﷺ وفي عُنُقِي صَليب من ذهب.

فقال لي: أَلْقِ هذا الوَثَنَ عنك؛ أراد به الصليب.

كما سمّاه الأَعشى وَثَناً.

وفي التنزيل العزيز ذكرت الأوثان ثلاث مرات:

﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلأَوْثَانِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ...﴾.[١]

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[٢]

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ ٱللهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾.[٣]

الفرق بين الصنم والوثن:

لقد عبد العرب في جاهليتهم قبل الإسلام مجموعة من آلهة بين أوثان وأصنام. وإن لم يكن بينهما فرق؛ فكلُّ ما عبد من دون الله تعالى فهو صنم ووثن وهو تمثال ونصب. لكن أقوالهم اختلفت في الفرق بين الصنم والوثن، وإن اتفقا في إضلال الناس، حيث ذكروا فروقاً بين الصنم والوثن نشير إليها:

بعض قال: إذا كان الإله مصنوعاً على صورة إنسان من خشب أو ذهب أو فضة فهو الصنم، أما إذا صنع من حجارة فهو وثن.

وبعضٌ آخر قال: إنَّ الصنم هو ذاك الذي له شكل وصورة مميزان، أما الوثن فهو الذي لا صورة له ولا شكل مميز.

بينما قال فريق ثالث: إنَّ الصنم هو ما كانت هيئته بشرية، فيما الوثن هو ما كان صاحب أية هيئة أخرى.

الطبري عن مجاهد: أنَّ (الأصنام) هي المنحوتة على خلقة البشر، وما كان منحوتاً

---

١. سورة الحج : ٣٠ .

٢. سورة العنكبوت : ١٧ .

٣. سورة العنكبوت : ٢٥ .

على غير خلقة البشر فهي أوثان...

وهذا ابن الأَثير قال: الفرق بين الوَثَنِ والصَّنَم أن الوَثَنَ كل ما له جُثَّةٌ معمولة من جواهر الأَرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تُعمَلُ وتُنْصَبُ فتُعْبَدُ، والصَّنَمُ الصورة بلا جُثَّةٍ؛ ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين. وقد يطلق الوَثَنُ على غير الصورة.

الصنم هو ما كان له جسمٌ أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وَثَن.

ما اتخذوه من آلهةٍ فكان غيرَ صُورةٍ فهو وَثَنٌ، فإذا كان له صورة فهو صَنَمٌ.

وقيل: الفرق بين الوَثَن والصنمِ أنَّ الوَثَنَ ما كان له جُثَّة من خشب أو حجر أو فضة يُنْحَت ويُعْبَد والصنم الصورة بلا جثة.

ومن العرب من جعل الوَثَنَ المنصوبَ صنماً.

وروي عن الحسن أنه قال: لم يكن حيٌّ من أحْياءِ العرب إلاّ ولها صنمٌ يعبدونها يسمونها أُنثى بني فلان.

قوله: ولها صنم يعبدونها لعلَّه أنث الضمير العائد إلى الحيّ؛ لأنه في معنى القبيلة، وأنث الضمير العائد إلى الصنم؛ لأنه في معنى الصورة.

ومنه قول الله عزَّوجلَّ: ﴿**إِنْ يَدْعون مِنْ دونِه إلاَّ إناثاً**﴾، والإناث كلّ شيء ليس فيه روح مثل الخَشبة والحجارة.[1]

﴿**النُّصُب**﴾

هي الأماكن التي تذبح عندها الذبائح لتقديمها للآلهة كقرابين، أو هي أحجار كانت موضع تقدير وتعظيم عندهم حتى عُبدت، وفيها كلام يأتينا.

فهي لغة: النُّصُبُ: كُلُّ ما عُبدَ من دون الله تَعالَى والجمعُ النّصائِبُ. وقال الزجّاجُ: النُّصُبُ:

١. المعجم الوسيط : ٥٢٦؛ لسان العرب، لابن منظور؛ الإفصاح في فقه اللغة ٢ : ١٢٦٠.

جمعٌ واحدها نِصابٌ. قال: وجائزٌ أن يكونَ واحداً وجمعُه أنصابٌ. وفي الصَّحِاح: النَّصْبُ: أي بفتح فسكون: ما نُصبَ فعُبدَ دُون الله تعالَى كالنُّصْبِ بالضَّمِّ فسكون وقد يحُرَّكُ. وزاد في نسخه منه: مثل عُسْر وعُسُر فيُنظر هذا مع عبارة المصنّف السّابقة. قالَ الأَعْشَى يمدَحُ سيِّدَنا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ:

وذا النُّصُبَ المَنْصُوَب لا تنْسُكَنَّهُ لِعاقِبةٍ والله ربَّكَ فاعْبُدَا

أراد: فاعبدَنْ فوقفَ بالأَلف. وقوله: وذا النُّصُب أي: إيّاكَ وذا النُّصُبَ.

وقال الفَرّاءُ: كأنّ النُّصُبَ الآلهةُ الّتي كانت تعْبَدُ من أحجارٍ. قال الأَزهريّ: وقد جَعَل الأَعْشَى النُّصُبَ واحداً حيثُ قالَ:

وذا النُّصُبُ المْنصوبَ لا تَنْسُكنَّه

والنَّصْبُ واحِدٌ وهو مصدرٌ وجمعُه الأنصاب. كانوا يَعبُدُون الأَنصَابَ وهي حِجارَةٌ كانَتْ حَوْلَ الكَعْبَةِ تُنْصَبُ فيُهَلُّ عَلَيْهَا ويُذْبَحُ لغير الله تعالى قاله ابْنُ سيدة. واحِدُها نُصُبٌ كعُنُق وأعْنَاق أو نُصْبٌ بالضّمّ كقُفْل وأقْفَال. قال تعالى: ﴿**والأَنْصابُ والأَزْلامُ**﴾. وقوله: ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾، الأَنْصَابُ: الأَوْثانُ وقال القُتَيْبِيُّ: النُّصُب: صَنَمٌ أو حَجرٌ وكانت الجاهليّةُ تَنْصِبُهُ تَذْبَحُ عندَه فيَحْمَرُّ للدَّم.

ومنه حديثُ أبي ذَرٍّ في إسلامه قال: «فَخَرَرْتُ مَغْشِيًّا عليَّ، ثم ارتَفعتُ كأني نُصُبٌ أحْمَرُ»، يُريدُ أنهم ضَرَبوه حتّى أدْمَوْهُ فصار كالنُّصُبِ المُحْمَرِّ بدَم الذّبائح...[1]

وهي قراءة:

الزمخشري في كشافه: وقيل: هو جمع، والواحد نصاب. وقرىء: «**النصْب**» بسكون الصاد.

---

١. تاج العروس، للزبيدي : نصب .

الآلوسي في روح المعاني: وقرئ ﴿**ٱلنُّصُبِ**﴾، بضم النون وتسكين الصاد تخفيفاً، وقرئ بفتحتين، وبفتح فسكون.

وقد ذكرت مرّتين في سورة المائدة:

﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾.[1]

﴿**يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلأَنصَابُ وَٱلأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.[2]

ففي الآيتين جاءت مفردتا ﴿**النُّصُبِ**﴾، ﴿**وَٱلأَنصَابُ**﴾، وقد وقع بينهم اختلاف في كونها من الأصنام أو الأوثان أو لا هذا ولا ذاك ، وهذه خلاصة أقوالهم.

النُّصُب ؛ الأنصاب:

هي الأوثان من الحجارة. كانت تجمع في الموضع من الأرض، فكان المشركون يقربون لها، وليست بأصنام. الصنم يصوّر ويُنقش.

وهذه حجارة تنصب حول الكعبة، وعددها ثلثمائة وستون حجراً، ثلثمائة منها لخزاعة. ويبدّلونها إن شاءوا بحجارة أعجب إليهم منها، وأحبّ إليهم منها، وكانوا إذا ذبحوا، نضحوا الدم على ما أقبل من البيت، وشرّحوا اللحم وجعلوه على الحجارة، هي حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها، ويذبحون لها، فنهى الله عن ذلك.

هي حجارة كانوا يذبحون ويهلّون عليها.

---

١. سورة المائدة : ٣ .

٢. سورة المائدة : ٩٠ .

هي أصنام؛ تنصب فتعبد من دون الله تعالى.

مع المفسرين:

وفي مجمع البيان، قال ابن جريج: ليست النصب أصناماً، إنما الأصنام ما تصور وتنقش، بل كانت أحجاراً منصوبة حول الكعبة، وكانت ثلاثمائة وستين حجراً. وقيل: كانت ثلاثمائة منها لخزاعة، فكانوا إذا ذبحوا، نضحوا الدم على ما أقبل من البيت ، وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة، فقال المسلمون: يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق بتعظيمه، فأنزل الله سبحانه: ﴿**لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾.[1]

أما ابن عاشور فله كلام مفيد ومفصّل عنها، يظهر منه أنها ليست تمثالاً ولا صنماً بل حجارة، فهو بعد أن يذكر: والنُصُب ـ بضمّتين ـ الحجر المنصوب، فهو مفرد مراد به الجنس، وقيل: هو جمع وواحده نِصاب، ويقال: نَصْب ـ بفتح فسكون ـ

﴿**كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصْب يُوفِضُونَ**﴾.[2]

وهو قد يطلق بما يرادف الصنم، وقد يخصّ الصنم بما كانت له صورة، والنصُب بما كان صخرة غير مصوّرة، مثل ذي الخَلصة ومثل سَعْد يقول:

... والأصحّ أنّ النصب هو حجارة غير مقصود منها أنها تمثال للآلهة، بل هي موضوعة لأنّ تذبح عليها القرابين والنسائك التي يتقرّب بها للآلهة وللجنّ، فإنّ الأصنام كانت معدودة ولها أسماء وكانت في مواضع معيّنة تقصد للتقرّب. وأمّا الأنصاب فلم تكن معدودة ولا كانت لها أسماء وإنّما كانوا ـ يتّخذها كلّ حَيّ ـ يتقرّبون عندها، فقد روى أيمّة أخبار العرب: أنّ العرب كانوا يعظّمون الكعبة، وهم ولد إسماعيل، فلمّا تفرّق بعضهم

---

١. سورة الحج : ٣٧ .

٢. سورة المعارج : ٤٣ .

وخرجوا من مكة، عظم عليهم فراق الكعبة، فقالوا: الكعبةُ حجر، فنحن ننصب في أحيائنا حجارة تكون لنا بمنزلة الكعبة، فنصبوا هذه الأنصاب، وربما طافوا حولها، ولذلك يسمّونها الدّوار ـ بضمّ الدال المشدّدة وبتشديد الواو ـ ويذبحون عليها الدماء المتقرّب بها في دينهم. وكانوا يطلبون لذلك أحسن الحجارة.

وعن أبي رجاء العطاردي في «صحيح البخاري»: كنّا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً خيراً منه ألقينا الأوّل وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجراً (أي في بلاد الرمل) جمعنا جُثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه ليصير نظير الحجر ثمّ طفنا به.

فالنصب: حجارة أعدّت للذبح وللطواف على اختلاف عقائد القبائل: مِثل حجر الغَبْغَبِ الذي كان حول العُزّى. وكانوا يذبحون على الأنصاب ويشرّحون اللحم ويشوونه، فيأكلون بعضه ويتركون بعضاً للسدنة، قال الأعشى، يذكر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته التي صنعها في مدحه:

وذا النُصُب المَنْصُوب لا تَنْسُكَنَّه

أقول: لا أدري قد يكون فات ابن عاشور قول أبي رجاء العطاردي الذي أورده أعلاه: «كنّا نعبد الحجر...»، والنصب حجر، فعبادتهم حصلت له، نعم هو ليس صنماً ولا وثناً ولا تمثالاً، وإنما هو رابعها، يعظمونه، ويتقرّبون بما يذبحونه إليه.. فهو إذن يُعبد من دون الله تعالى. وسيأتينا تكملة كلامه في فقرة الظاهرة الثانية: ﴿**وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾، ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ**﴾.

يقول الزمخشري: ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ**﴾. كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها، ويعظمونها بذلك ويتقرّبون به إليها، تسمى الأنصاب، والنصب واحد. قال الأعشى:

وَذَا النَّصْبِ الْمَنْصُوبِ لاَ تَعْبُدَنَّه ... لِعَاقِبَةٍ وَاللهِ رَبَّكَ فَاعْبُدَا

الشيخ الطبرسي: ﴿**ٱلنُّصُبِ**﴾: الحجارة التي كانوا يعبدونها وهي الأوثان عن مجاهد

وقتادة وابن جريج يعني وحرم عليكم ما ذبح على النصب أي على اسم الأوثان. وقيل: معناه وما ذبح للأوثان تقرباً إليها واللام وعلى متعاقبان، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، بمعنى عليك.

وكانوا يقربون ويلطّخون أوثانهم بدمائها.

﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: الحجارة التي كانوا يعبدونها وهي الأوثان ، يعني وحرم عليكم ما ذبح على النصب أي على اسم الأوثان. وقيل: معناه وما ذبح للأوثان تقرباً إليها، واللام وعلى متعاقبان، ألا ترى إلى قوله تعالى والأنصاب: الأصنام، واحدها نصب، وسمّي ذلك؛ لأنها كانت تنصب للعبادة لها...

قال الأعشى:

وَذَا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ وَلا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ وَاللهَ فَاعْبُدا[1]

وأين ؟!!

إنهم وضعوها في أطهر بقعة مباركة عرفتها الحياة الدنيا، وأزكى مكان نعمت به الأرض ومن عليها، إنه مكة المكرمة، إنه البيت الحرام؛ هناك حيث قواعده التي رفعها إبراهيم وابنه إسماعيل للعابدين الطائفين الراكعين الساجدين...

فيا ترى من الذي أدخل الأصنام إلى مكة؟!

لقد اضطربت الأخبار والأقوال كثيراً فيمن كان أول من أدخلها، فلوّث هذا الوادي المبارك، وأفسد على أهله دينهم، حين نصب الأصنام في البيت الحرام ومكة، فغيّر وبدّل دين إبراهيم في مكة، أو التوحيد الإبراهيمي النقي، وكان ذلك بداية سيئة؛ بعد تلك المرحلة

---

١ . انظر تفسير مجمع البيان؛ والتحرير والتنوير : الآيتان.

الإبراهيمية الرائدة، وبعد ذلك الشوط الإبراهيمي المبارك، إذ ظاهرة عبادة الأصنام هي على الضدِّ مما تريده السماء وتمنّاه نبيُّ الله إبراهيم من أمنٍ وطهارةٍ وعبادةٍ خالصةٍ لله تعالى تسود هذا الوادي ومَن فيه؛ ليكون أنموذجاً صالحاً، ومنطلقاً لكلمة التوحيد الصادقة؛ التي تعمُّ العالم بأسره، بعيداً عن الشرك وأشكاله، الذي تمثله عبادة غير الله تعالى، وبالذات الأصنام، وقد أضلّت كثيراً من الناس...

وهنا أيضاً تأتي الأخبار لتنصَّ على مسؤولية إبليس عن ذلك:

فإما أنه صنع لهم تلك التماثيل الخمسة وبأسمائها، فعبدوها واتخذوها آلهةً، وإما أنه أخرج لهم أصنام قوم نوح عليه السلام من تحت التراب بعد أن دفنها الطوفان أيام الغرق، وطمَّها التراب، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها لمشركي العرب، فوزّعوها بين قبائلهم...

أو أنَّ هناك قطع أحجار من الحرم المكي حُملت فعُبدت، فكانت سبباً لظهور عبادة غير الله تعالى؛ فقد جاء في خبر عن ابن الكلبي (ت ٢٠٤ هجرية) بكتاب الأصنام، وتبعه الأزرقي (ت٢٥٠ هجرية) في أخبارمكة باختلاف يسير، وأيضاً في السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣ أو٢١٨ هجرية) برواية ابن إسحاق (ت ١٥١ هجرية): أنَّ إسماعيل بن إبراهيم «صلى الله عليهما»، لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة، ونفوا من كان بها من العماليق، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً، فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش.

وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلاّ احتمل معه حجراً من حجارة الحرم، تعظيماً للحرم وصبابةً بمكة. فحيثما حلوا، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمناً منهم بها وصبابةً بالحرم وحبًّا له. وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره. فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم. وانتجثوا ما كان يعبد قوم نوحٍ عليه السلام منها، على إرث ما بقي فيهم من ذكرها. وفيهم

على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها: من تعظيم البيت، والطواف به، والحج، والعمرة، والوقوف على عرفة ومزدلفة، وإهداء البدن، والإهلال بالحج والعمرة ـ مع إدخالهم فيه ما ليس منه. فكانت نزار تقول إذا ما اهلت: لبيك اللهم! لبيك! لبيك! لا شريك لك! ـ إلاّ شريك هو لك! تملكه وما ملك! ويوحدونه بالتلبية، ويدخلون معه آلهتم ويجعلون ملكها بيده.

يقول الله عزَّوجلَّ لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾. أي ما يوحدونني بمعرفة حقّى، إلاّ جعلوا معي شريكاً من خلقي.

وكانت تلبية عك، إذا خرجوا حجاجاً، قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم، فكانا أمام ركبهم فيقولان: نحن غرابا عك! فنقول: عك من بعدهما: عك إليك عانيه، عبادك اليمانيه، كيما نحجّ الثانية!

وكانت ربيعة إذا حجّت فقضت المناسك ووقفت في المواقف، نفرت في النفر الأول ولم تقم إلى آخر التشريق، فاتَّخذت قضاعة وداً فعبدوها بدومة الجندل، ثم توارثها بنوه الأكابر فالأكابر حتى صارت إلى كلب، فجاء الإسلام وهو عندهم.

وأخذ بطنان من طيّ يغوث، فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً، ثم إن بني ناجية أرادوا أن ينزعوه منهم، ففروا به إلى بني الحرث بن كعب.

وإما يعوق فكان لكهلان، ثم توارثه بنوه الأكبر فالأكبر حتى صار إلى همدان.

وأما نسر فكان لخثعم يعبدونه.

وأما سواع فكان لآل ذي الكلاع يعبدونه...

وقفة مع عمرو بن لحي الخُزاعي:

فيما يتضح أنَّ معظم ما تيسر لي من المؤرخين والمفسرين المسلمين، أرجعوا أصل عبادة الأصنام في وادي مكة، وانتشارها لما حوله؛ في قبائلها ونواحيها إلى الخُزاعي عمرو بن لحي، كبير خُزاعة، و زعيمها، خاصة بعد أن صارت خزاعة بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة، وهو ابن بنت عمرو بن الحارث الجرهمي آخر ملوك جرهم، وقد بلغ عمرو

بن لحى في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده في الجاهلية، وهو أول من أطعم الحج بمكة سدائف الإبل ولحمانها على الثريد والسدائف جمع سديف وهو شحم السنام، وذهب شرفه في العرب كل مذهب حتى صار قوله ديناً متبعاً لا يخالف.

وفي كلام بعضهم صار عمرو للعرب ربًّا لا يبتدع لهم بدعة إلاّ اتخذوها شرعة؛ لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم، وربما نحر لهم في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حل...

إذن فالرجل صاحب مكانة عليهم لا تُردّ، وكلمة عليهم لا تُعصى، حتى قال بعضهم، كما في السيرة الحلبية وغيرها: تضافرت نصوص العلماء على أن العرب من عهد إبراهيم استمرت على دينه أي من رفض عبادة الأصنام إلى زمن عمرو بن لحى، فهو أول من غير دين إبراهيم وشرع للعرب الضلالات فعبد الأصنام وسيب السائبة وبحر البحيرة ــ وقيل أول من بحر البحيرة رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع أذنيهما وحرم ألبانهما ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله رأيته في النار يخبطانه بأخفافهما ويعضانه بأفواههما.

وعمرو أول من وصل الوصيلة وحمى الحامي ونصب الأصنام حول الكعبة وأتى بهبل من أرض الجزيرة ونصبه في بطن الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالأزلام، وأول من أدخل الشرك في التلبية، فإنه كان يلبي بتلبية إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهي لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، فعند ذلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فلما قال عمرو: لبيك لا شريك لك، قال له ذلك الشيخ: إلاّ شريكاً هو لك، فأنكر عمرو ذلك، فقال له ذلك الشيخ: تملكه وما ملك، وهذا لا بأس به، فقال ذلك عمرو، فتبعه العرب على ذلك أي فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده، قال تعالى توبيخاً لهم: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾، وهو أول من أحلَّ أيضاً أكل الميتة، فإن كلّ القبائل من ولد إسماعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحى، فزعم أنّ الله تعالى لا يرضى تحريم أكل الميتة، قال: كيف لا تأكلون ما قتل الله، وتأكلون ما قتلتم؟!... وذكروا لكيفية حصوله عليها ونصبها في المسجد الحرام حول الكعبة

أخباراً وقصصاً عديدة، جعلت منه مؤسس عبادة الأصنام؛ والتي بقيت تُعبد، حتى بعث الله النبيّ ﷺ فأمر بهدمها، من تلك القصص أنه رأى في إحدى أسفاره جمعاً من الناس يعبدون آلهة، فلما سألهم عنها، عجبه جوابهم، ووقع منه موقع الرضا والقبول؛ أنهم يتقربون بها للإله، ويسألونها الحماية فتحميهم، والرزق فتعطيهم، و... أخذ منهم بعض تلك التماثيل ونصبها في البيت الحرام...

ومنها أنه لما سار وقومه إلى مكة، واستولى على أمر البيت، ثم سار إلى مدينة البلقاء بالشام، فرأى هناك قوماً يعبدون الأصنام، فسألهم عنها فقالوا: هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية، نستنصر بها فننصر، ونستسقي بها فنسقى، ونستشفي بها فنشفى. فأعجبه ذلك، وطلب منهم صنماً من أصنامهم، فدفعوا إليه هبل، فسار به إلى مكة، ووضعه في الكعبة، وكان معه إساف ونائلة على شكل زوجين. فدعا الناس إلى تعظيمها، والتقرب إليها، والتوسل بها إلى الله تعالى، وكان ذلك في أول ملك شابور ذي الأكتاف...

ومنها أنه أتى شاطئ جدّة، واستثار منها عدّة أصنام، ثمَّ حملها حتى زرد تهامة، وحضر الحجَّ، فدعا العرب إلى عبادتها قاطبةً. وفي خبر، كان هذا منه، بعد أن دلَّه الشيطان عليها، وأنها سبق وأن غرقت بسبب الطوفان في عهد نوح عليه السلام، ويبدو أنَّ هذا الرجل ذو علاقة طيبة بالشيطان، بحيث يدله قولاً أو وسوسةً...

ومنها أنه كان له رئي من الجن، فأخبره أنّ أصنام قوم نوح ودًّا، وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، مدفونة بجدة، فأتاها فاستثارها، ثم أوردها إلى تهامة، فلما جاء الحج دفعها إلى القبائل، فذهبت بها إلى أوطانها. ومنها أنه أدخلها أرض العرب؛ بعد أن جلبها من الهند؛ لأنها رفعت إلى الهند، فسمّوا بها أصنامهم... أو أنه مرض، وأن شفاءه بالبلقاء من الشام، فكان سفره لها سبباً لتعرفه على الأصنام ومحاسنها كما زعموا له، فجلب بعضها إلى مكة...

وهذا كتاب الأصنام لابن الكلبي المتوفّى سنة (٢٠٤ هـ) يُعدُّ أقدم كتاب يتحدث

عنها، ومما جاء فيه عن نصبها في البيت الحرام، وسبب وجودها في مكة وما حولها، وانتشارها هنا وهناك في نواحيها وبيوتها وأسواقها أكثر من خبر، يفقد الدّقة، ولا يخلو من اضطراب، فمرةً يذكر:

... أنَّ إسْمَاعِيلَ بْنَ إبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا لَمَّا سكن مَكَّة وَولد لَهُ بهَا أوْلاد كثير حَتَّى ملأوا مَكَّةَ، وَنَفَوْا مَنْ كَانَ بهَا مِنَ الْعَمَالِيق ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ مَكَّةُ، وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمُ الْحُرُوبُ وَالْعَدَاوَاتُ، وأخرج بَعضهم بَعْضًا، فتفسحوا فِي الْبلاد والتماس الْمَعَاش.

وكَانَ الَّذِي سَلَخَ بِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَان وَالْحِجَارَة أنه كَانَ لا يظعن من مَكَّة ظَاعِنٌ إلاّ احْتَمَلَ مَعَهُ حَجَرًا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَم تَعْظِيمًا لِلْحَرَم وَصَبَابَةً بِمَكَّةَ، فَحَيْثُمَا حَلُّوا وضعوه وطافوا بهِ كطوافهم بالكعبة تيمناً مِنْهُم بهَا وصبابةً بالْحرم وحبًّا بهَا، وَهُمْ بَعْدُ يُعَظِّمُونَ الْكَعْبَةَ وَمَكَّةَ وَيَحُجُّونَ وَيَعْتَمِرُونَ عَلَى إرْثِ إبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ، ثُمَّ سَلَخَ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى أنْ عَبَدُوا مَا اسْتَحَبُّوا، وَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَبْدَلُوا بِدِين إبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل غَيره فعبدوا الأَوْثَانَ وَصَارُوا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الأُمَمُ مِنْ قَبْلِهِمْ وَانْتَحَتُوا مَا كَانَ يَعْبُدُ قَوْمُ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهَا عَلَى إرْثِ مَا بَقِي فيهم مِنْ ذِكْرِهَا وَفِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بَقَايَا مِنْ عَهْدِ إبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ يَتَنَسَّكُونَ بهَا مِنْ تَعْظِيمِ الْبَيْتِ وَالطَّوَافِ بِهِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى عَرَفَةَ وَمُزْدَلِفَةَ وَإِهْدَاء الْبُدْنِ وَالإِهْلالِ بالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مَعَ إدخالهم فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَكَانَت نزار تَقُولُ إذَا مَا أَهَلَّتْ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لبيْك لا شريك لَك إلاّ شريك هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ وَيُوَحِّدُونَهُ بالتَّلْبِيَةِ ويدخلون مَعَه آلِهَتِهِمْ وَيَجْعَلُونَ مِلْكَهَا بيَدِهِ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿**وَمَا يُؤمن أَكْثَرهم بِاللهِ إِلَّا وهم مشركونَ**﴾. أيْ مَا يُوَحِّدُونَنِي بِمَعْرِفَةِ حَقِّي إلاّ جَعَلُوا مَعِي شَرِيكًا مِنْ خَلْقِي وكَانَتْ تَلْبِيَةُ عَكَّ إذا خَرجُوا حجاجاً قدمُوا أمامهم غُلامَيْن أسْوَدَيْن مِنْ غِلْمَانِهِمْ فَكَانَا أَمَامَ ركْبهمْ فَيَقُولان... نَحن غرابا عك، فَنَقُول عَكٌّ مِنْ بَعْدِهِمَا... عَكٌّ إِلَيْكَ عَانِيَةْ عِبَادُكَ الْيَمَانِيَةْ كَيْمَا نَحُجُّ الثَّانِيَةْ... وكَانَتْ رَبِيعَةُ إذَا حجت فقضت الْمَنَاسِك ووقفت فِي الْمَوَاقِفَ نَفَرَتْ فِي النَّفَر الأَوَّل وَلَمْ تَقُمْ إِلَى آخر التَّشْرِيق.

ومرّةً يذكر التالي:

فَكَانَ أولُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَنَصَبَ الأَوْثَانَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَحَمَى الْحَامِيَةَ عَمْرَو بْنَ رَبِيعَةَ وَهُوَ لحى بن حَارثَة ابْن عَمْرو بْن عَامِرِ الأَزْدِيُّ وَهُوَ أبو خُزَاعَةَ، وكَانَتْ أُمُّ عَمْرو بْن لُحَيٍّ فُهَيْرَةَ بنْتَ عَمْرو بْن الْحَارثِ ويُقَالُ قَمَعَةُ بنْتُ مُضَاض الْجُرْهُمِيُّ وكَانَ الْحَارثُ هُوَ الَّذِي يَلِي أمْرَ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا بَلَغَ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ نَازَعَهُ فِي الْولايَة وَقَاتل جرهما بَنِي إسْمَاعِيلَ فَظَفَرَ بِهِمْ وأجْلاهُمْ عَن الْكَعْبَةِ ونَفَاهُمْ مِن بلادِ مَكَّةَ وَتَولَّى حِجَابَةَ الْبَيْتِ بَعْدَهُمْ؛ ثُمَّ إنهُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَقِيلَ لَهُ: إنَّ بالْبَلْقَاءِ مِنَ الشَّام حَمَّةً إنْ أتَيْتَهَا بَرَأتَ فَأتَاهَا فَاسْتَحَمَّ بِهَا فَبَرَأ و وَجَدَ أهْلَهَا يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟

فَقَالُوا: نستسقي بِهَا الْمَطَرَ، وَ نَسْتَنْصِرُ بِهَا عَلَى الْعَدُوّ!

فَسَأَلَهُمْ أنْ يُعْطُوهُ مِنْهَا، فَفَعَلُوا فَقَدِمَ بِهَا مَكَّةَ ونصبها حول الْكَعْبَة...

ولكن ابن الكلبي في صفحة ٥٤ يقول شيئاً آخر عن عمرو بن لحى؛ حيث قال:

وكَانَ لَهُ رَئِيٌّ مِنَ الْجنِّ وكَانَ يُكَنَّى أبا ثُمَامَةَ، فَقَالَ لَهُ: عَجِّلْ بالْمَسِيرِ وَالظَّعْن مِنْ تِهَامَةَ بالسَّعْدِ وَالسَّلامَةْ.

قال: جيرٌ ولا إقامه.

قال: ايت ضفَّ جُدَّةَ، تَجدْ فِيهَا أصْنَامًا مُعَدَّةً، فَأوْرِدْهَا تِهَامَة ولا تهاب، ثمَّ ادْع الْعَرَب إلَى عبادتها تجاب.

فَأتَى شَطَّ جُدَّةَ فَاسْتَثَارَهَا ثُمَّ حَمَلَهَا حَتَّى وَرَدَ تِهَامَةَ وَحَضَرَ الْحَجَّ فَدَعَا الْعَرَبَ إلَى عبادتها قاطبةً. فَأجَابَهُ عَوْفُ بْنُ عُذْرَةَ بْن زَيْدِ اللاتِ بْن رُفَيْدَةَ بْن ثَوْر ابْن كَلْب بْن وَبَرَةَ بْن تَغْلِبَ بْن حُلْوَانَ بْن عِمْرَانَ بْن إلْحَافِ بْن قُضَاعَةَ فَدَفَعَ إلَيْهِ وَدًّا، فَحَمله إلَى وَادي الْقرى فأقره بدُومَةِ الْجَنَدْل وَسَمَّى ابْنَهُ عَبْدَ وَدٍّ، فَهُوَ أولُ مَنْ سُمِّيَ بِهِ وَهُوَ أولُ مَنْ سَمَّى عَبْدَ وَدٍّ ثُمَّ سَمَّتِ الْعَرَبُ بِهِ بعد وَجعل عَوْفٌ ابْنَهُ عَامِرًا الَّذِي يُقَالُ لَهُ عَامِرُ الأجدار سادناً لَهُ، فَلم تزل بَنُوهُ يُسْدِنُونَهُ حَتَّى جَاءَ اللهُ بالإِسْلام.

هذا ذكره في صفحة ٨ ، ٥٤ ـ ٥٥ .

وخلاصة أقواله نجدها جملةً واحدةً في صفحة ١٣: فَلَمَّا صَنَعَ هَذَا عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ، دَانَتِ الْعَرَب للأصنام وعبدوها واتخذوها...

ولا أدري كيف ينسجم قوله هذا؛ من تحميل هذا الرجل مسؤولية عبادة العرب للأصنام، مع ما ذكره، وما يذكره في المرة التالية؟!

ومرّةً ثالثة يذكر:

وكَانَ أولُ مَن اتَّخَذَ تِلْكَ الأَصْنَامَ مِنْ ولد إسْمَاعِيل وَغَيرهم من النَّاس وسموها بأسْمَائِهَا عَلَى مَا بَقِيَ فِيهمْ مِنْ ذِكْرهَا حِينَ فَارَقُوا دِينَ إسْمَاعِيل.

هُذَيْلُ بْنُ مُدْرِكَةَ اتَّخَذُوا سُوَاعًا.

فَكَانَ لَهُمْ برهاطٍ مِنْ أرْض يَنْبع، وينبع عرض من أعْرَاض الْمَدِينَة وكَانَت سَدَنَتَهُ بَنُو لِحْيَانَ ولَمْ أسْمَعْ لهذيلٍ فِي أشْعَارهَا لَهُ ذِكْرًا إلا شِعْرَ رجل مِنَ الْيَمَن واتَّخَذَتْ كَلْبٌ وَدًّا بدُومَةِ الْجَنْدَل، واتَّخَذَتْ مذحج وأهل حرش يَغُوثَ.

...حَيَّاكَ وَدٌّ فَإِنَّا لَا يَحِلُّ لَنَا ... لَهْوُ النِّسَاءِ وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا

وقال الشَّاعر:

...وَسَارَ بنَا يَغُوثُ إِلَى مرادٍ ... فَنَاجَزْنَاهُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ

وقال الآخر:

واتَّخَذَتْ خَيْوَانُ يَعُوق فَكَانَ بقَرْيَةٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهَا: خَيْوَانُ مِنْ صنعاء على لَيْلَتَيْن مِمَّا يلى مكَّة، ولَمْ أسْمَعْ هَمْدَانَ سَمَّتْ بهِ، ولا غَيْرَهَا مِنَ الْعَرَب، ولَمْ أسْمَعْ لَهَا ولا لغَيْرهَا فِيهِ شِعْرًا.

وأظُنُّ ذَلِكَ لأنهُمْ قَربوا مِنْ صَنْعَاءَ وَاخْتَلَطُوا بحِمْيَرَ، فَدَانُوا مَعَهُمْ بالْيَهُودِيَّةِ أيَّامَ تَهَوَّدَ ذُو نواسٍ فَتَهَوَّدُوا مَعَهُ.

واتَّخَذَتْ حِمْيَرُ نَسْرًا

فَعَبَدُوهُ بأرْضٍ يُقَالُ لَهَا بَلْخَعُ، ولَمْ أسْمَعْ حِمْيَرَ سَمَّتْ بهِ أحَدًا، ولَمْ أسْمَعْ لَـهُ ذِكْـرًا فِي أشْعَارهَا ولَا أشعار أحدٍ من الْعَرَب، وأظُنُّ ذَلِكَ كَانَ لانْتِقَال حِمْيَرَ أيَّامَ تبعٍ عَنْ عِبَـادَةِ الأَصْنَام إلَى الْيَهُودِيَّةِ، وكَانَ لِحِمْيَرَ أيْضًا بَيْتٌ بِصَنْعَاءَ يُقَالُ لَهُ رِيَامُ يُعَظِّمُونَهُ وَيَتَقَرَّبُونَ عِنْدَهُ بالذَّبَائِح.

هذا عن الأصنام، أما عن كلٍّ من أساف ونائلة، فلهما خـبر آخـر مختلـف، حيـث يـذكـر:

عَن ابْن عَبَّاس أنَّ إسَافًا ونَائِلَةَ رَجُلٌ مِنْ جُرْهُم يُقَالُ لَهُ إسَافُ بْنُ يَعْلَى ونَائِلَةُ بنْتُ زيدٍ مِنْ جُرْهُم وكَانَ يَتَعَشَّقُهَا فِي أرْض الْيَمَن فَأقْبَلُوا حُجَّاجًا فَدَخَلا الْكَعْبَةَ فَوَجَدَا غَفْلَـةً مِنَ النَّاس وخلوة فِي الْبَيْتِ فَفَجَرَ بهَا فِي الْبَيْتِ فَمُسِـخَا فَأصْـبَحُوا فوجـدوهما مسـخين، فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما، فعبدتهما خُزَاعَة وقُرَيْشٌ، وَمَـنْ حَـجَّ الْبَيْـتَ بَعْـدُ مِـنَ الْعَرَب.

إذن فعمرو بن لحى جزاء فعلته، التي فعل من أنه غيّر دين إبراهيم وإسماعيل، و أنه أول من أدخل الأصنام إلى مكة وفي داخل الكعبة، وأنه راح يـدعو العـرب إلى عبادتهـا، وهو بهذا يعدُّ سبب ترويج الشرك فيهم، وقد وصلت إلى أطراف بعيدة عن مكـة، حـتى لم يبق حيٌّ ولا قبيلة عربية هنا وهناك، إلاّ ولها صنم تعبده، ترجو شفاعته، تحـج كـلَّ سـنة إليه، تطوف به، تذبح له... و وثن تلـوذ بـه، وآخـر تستشـيره في أمورحياتهـا؛ في غـزوة وتدعوه لنصرتها على أعدائها، وفي تجارة وفي جلب رزق وشفاء مرض و...

أنه يجرُّ أمعاءه في جهنم!

أنه يجرُّ قصبةً في النار!

أنه يؤذي أهل النار بريح قصبه...!

أنه حامل لواء الكفار والمشركين إلى جهنم! أنه؛ أنه... وراحت ألسنة وكتب تردّدها، كما في أكثر من رواية منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منها: أنه صلى الله عليه وآله قال محدثاً أكثم بـن الجـون الخُزاعي:

يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجرُّ قصبة في النار، فما رأيتُ رجلاً أشبه برجل به منك ولا بك منه.

فقال أكثم: تخشى أن يضرّني شبهه يارسول الله، أو أوَ يضرّني شبهه يا رسول الله؟!

فقال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر، وأنه أول من غيّر دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وسيّب السائبة، وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي».

فأبو قبيلة خزاعة، التي سيطرت على البيت بعد هزيمتها لقبيلة جرهم، وتوّلت شؤونه، هو ـ على ما ذكره ابن الكلبي ـ من يتحمل مسؤولية وضعها في البيت الحرام، وهو أول من أدخل الأصنام إلى مكة، وبفعلته هذه كان سبباً في انتشارها... وكان سبباً في تغيير الدين وتحريف العبادة...،

وبالتالي فيصدق عليه أنه أول من غيّر دين إسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان وسيب السائبة، ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحمى الحامية.. وذكر أنَّ أمَّ عمرو بن لحى فهيرة بنت عمرو بن الحارث. ويقال قمعة بنت مضاض الجرهمي، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة. فلما بلغ عمرو بن لحى، نازعه في الولاية، وقاتل جرهماً بني إسماعيل. فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة. ونفاهم من بلاد مكة، وتولّى حجابة البيت بعدهم.[1]

إذن فالأقوال مختلفة فيمن أدخل الأصنام إلى البيت الحرام، وكل ما ذكر يحتاج فعلاً إلى تدقيق نظر وتحقيق..[2]

لنقف مع الثلاثي

---

١. انظر كتاب الأصنام لابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب الكلبي أبو المنذر .

٢. المحقق: أحمد زكي باشا : ٦ وما بعدها، ففيه التفصيل، اكتفينا بشيء منه؛ وابن هشام، في السيرة النبوية ١ : ١٠١ـ ١١٤؛ وابن حجر، في كتاب فتح الباري ٨ : ١٦٨؛ إغاثة اللهفان لابن القيم ٢ : ٦٢١ـــ٦٣٥؛ وغيرها من مصادر التاريخ وكذا التفسير، سورة نوح : الآية ٢٠؛ الملل والنحل، ٢ : ٢٣٣ ، ٢٣٥..؛ وكتاب السيرة الحلبية ، علي بن برهان الدين الحلبي (ت١٠٤٤ هجرية).

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾.[١]

ضمّت الجزيرة العربية كثيراً من الأصنام والأوثان والتماثيل والأنصاب، واتخذها أهل الجزيرة معبودات، يُعظمونها أيما تعظيم، فلا تجد في الأعم الأغلب، كما تتحدث الأخبار، بيتاً أو زقاقاً أو مكاناً يخلو منها، في حضرهم وسفرهم وغزواتهم؛ لا تخلو منها أمتعتهم، فهي جميعها تحظى عندهم و في قبائلهم بالتكريم والتعظيم، خاصةً هذه الثلاثة، فقد كانت أعظمها في نظرهم... نقف عندها بما يتيسر.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ...﴾:

نجد في هذا الافتتاح سؤالاً خطيراً، مليئاً بالتعجيب والتشهير والإنكار لفعلتهم، إذ عبدوا ما لا يعقِل، أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونها أوْحَيْنَ إليكم شيئاً كما أُوحِي إلى محمدﷺ وقد جاءت الفاء عاطفة لتفريع الاستفهام وما بعده على ما تقدم؛ فهي عقيب ما سمعتم من عظمة آيات الله تعالى الكبرى، ونفاذ أمره في الملإ الأعلى وما تحت الثرى؛ ﴿أَفَتُمَارُونَه عَلَى مَا يَرَى﴾،[٢] المفرعة على جملة: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾.[٣] .. فانظروا إلى اللاّت والعزى، تعلموا فساد ما ذهبتم إليه وعولتم عليه!

الإعراب:

فالهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء حرف عطف؛ لترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤونه تعالى المنافية لها غاية المنافاة، والتقدير: أعقيب ما سمعتم من آثار كماله ونفاذ أمره في الملإ الأعلى وما تحت أطباق الثرى، أرأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وفسولتها

---

١. سورة النجم : ١٩ ـ ٢٠ .
٢. سورة النجم : ١٢ .
٣. سورة النجم : ١١ .

شركاء لله تعالى.

و«رأيتم» فعل وفاعل و«اللات» مفعوله، و«العزى ومناة» معطوفتان على اللات والثالثة الأخرى صفتان الأولى صفة للتين قبلها والثانية صفة ذم للثالثة، ومفعول رأيتم الثاني محذوف تقديره قادرة على شيء، ويجوز أن تكون من رؤية العين، فلا تحتاج إلى مفعول ثان.

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثَى﴾.[1]

الإعراب:

الهمزة للاستفهام الإنكاري أيضاً، ولكم خبر مقدم، والذكر مبتدأ مؤخر، وله الأنثى عطف على لكم الذكر.

﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾.

تلك مبتدأ والإشارة إلى القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية، وإذن بمعنى الجواب والجزاء، والمعنى إذ جعلتم له البنات ولكم البنين، وقسمة خبر وضيزى صفة لقسمة.

الإعراب:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ﴾.

إن نافية وهي مبتدأ، وإلاّ أداة حصر وأسماء خبر هي، وسميتموها فعل وفاعل ومفعول به ثان، والأول محذوف تقديره أصناماً، وأنتم تأكيد للفاعل؛ ليصحّ عطف وآباؤكم عليه على حدّ قول صاحب الخلاصة.

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

وجملة سميتموها صفة لأسماء، وكذلك جملة ما أنزل، وما نافية، وأنزل الله فعل

---

١. سورة النجم : ٢١.

وفاعل، وبها حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لسلطان، ومن حرف جر زائد، وسلطان مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به..

ولمن يريد الاطلاع على البلاغة في قوله تعالى: ﴿**وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى**﴾، ففيها أسرار مدهشة ـ والقول لآل درويش ـ تحتاج إلى كثير من الفطنة والدقة؛ لاستخراج ما تنطوي عليه من جمال آسر...

في اللغة وأقوال المفسرين:

وهذه الثلاثة أصنام كانت، وهي مؤنثات. وقيل اللات ذكر؛ فهو مأخوذ من رجل كان يلت بالسمن الطعام ويطعم الناس فعبد، واتخذ على صورته وثن وسموه باللاّت، وعلى هذا فاللاّت ذكر.

﴿**اللَّاتَ**﴾: من الفعل لَتَّ، لَتَّ السّويقَ ونحوَهُ يلُتُّ لَتًّا: خلطه بسمن أو غيره و العجينَ ونحوه: بلَّه بشيء من الماء... وهو صنم كانت العرب تعظمه، لعلَّ من هنا سمّي بالذي كان يلت عنده السويق بالسمن.

الراغب في مفرداته: أللاَّتُ والعزّى صنمان، وأصل اللّات اللاه، فحذفوا منه الهاء، وأدخلوا التاء فيه، وأنّثوه تنبيهاً على قصوره عن الله تعالى، وجعلوه مختصّاً بما يتقرّب به إلى الله تعالى في زعمهم.

ابن عاشور: والألف واللام في أول ﴿**اللَّاتَ**﴾ زائدتان. و (ال) الداخلة عليه زائدة ولعل ذلك لأن أصله: لاَتْ، بمعنى معبود، فلما أرادوا جعله علماً على معبود خاص أدخلوا عليه لام تعريف العهد كما في ـ الله ـ فإن أصله إله. ويوقف عليه بسكون تائه في الفصحى.

وقرأ الجمهور: ﴿**اللَّاتَ**﴾ بتخفيف المثناة الفوقية. وقرأه رويس عن يعقوب بتشديد التاء؛ وذلك لغة في هذا الاسم؛ لأن كثيراً من العرب يقولون: أصل صخرته موضع كان يجلس عليه رجل في الجاهلية يلتّ السويق للحاج، فلما مات اتخذوا مكانه معبداً.

هذا وأنَّ التاء في اللات قيل: أصلية لام الكلمة كالباء من باب، وألفه منقلبة فيما يظهر من ياء؛ لأن مادة ليت موجودة فإن وجدت مادة من ل وت جاز أن تكون منقلبة

من واو، وقيل: التاء للتأنيث ووزنها فعلة من لوى قيل: لأنهم كانوا يلوون عليها، ويعكفون للعبادة، أو يلتوون عليها أي يطوفون، حذفت لامها.

يقول الطبري: أفرأيتم أيها المشركون اللات، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة؛ وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤهم، فقالوا: من الله اللات، ومن العزيز العُزَّى.

فيما يذكر الرازي أنَّ التاء في اللاّت تاء تأنيث كما في المناة، لكنها تكتب مطولة لئلا يوقف عليها فتصير هاءً فيشتبه باسم الله تعالى، فإنَّ الهاء في الله أصلية ليست تاء تأنيث وقف عليها فانقلبت هاء، ويُظن أن اسمها "اللات" مؤنث لفظ الجلالة الله سبحانه وتعالى.

وقرأ الجمهور اللات خفيفة التاء، وابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر و أبو صالح و طلحة و أبو الجوزاء و يعقوب و ابن كثير في رواية بشدّها.

هذا وقيل: إن اللّات فيما ذكر بعض المفسرين أخذه المشركون من لفظ الله، والعُزَّى من العزيز، ومَنَاة مِن مَنَى الله الشيءَ إذا قدّره..

قال ابن عباس: كان هذا رجلاً بسوق عكاظ يَلُتّ السَّويق عند صخرة للحاجّ، أو كان يبيع السَّويق والسَّمْن عند صخرة ويصبه عليها، فلما مات، عكفوا على قبره فعبدوه. أو عبدت ثَقِيف تلك الصخرة إعظاماً لصاحب السَّويق.

و كانت "اللات" صخرة مربعة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار، وفي قول: وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى، وله سدنة، وكانوا من ثَقِيف، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب عدا قريش؛ لأن عندهم الكعبة بيت إبراهيم عليه السلام. وبها كانت العرب تسمى زيد اللّات وتيمَ اللّات. فلم تزل كذلك إلى أن أسلمت ثَقِيفٌ. وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله المغيرة ابن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

يقول الدكتور جواد علي: وكان بيت "اللات" من البيوت المعظمة عند ثقيف. كانوا

إذا عاد أحدهم من سفر، فأول ما يفعله أن يأتي "الربة"، وهي اللات ليتبرك بها. وهي الصخرة التي كانت تعبدها ثقيف.. ولما أسلم "عروة بن مسعود الثقفي"، وعاد إلى قومه دخل منزله، فأنكر قومه عليه دخوله قبل أن يأتي الربة، يعني اللات. وفي حديث وفد ثقيف: كان لهم بيت يسمونه الربة. يضاهون بيت الله. وكانت ثقيف تضاهي أهل مكة، وتنافسهم على الزعامة. وكان لبيت اللات أستار وسدنة وحوله فناء معظم، يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب.

ويقال: إنها أنثى كانت في مدينة الطائف، وهي تمثل فصل الصيف؛ لقول العرب: إنَّ ربَّكم يتصيف باللات لبرد الطائف ويشتو بالعُزَى لحر تهامة. وأيضاً هناك قول: كان في الكعبة، وقول ثالث: كان بنخلة عند سوق عكاظ. وذهب بعضهم إلى أنَّ القول الأول أرجح؛ ويؤيده قول الشاعر:

وفرّت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر

وذكر الزمخشري ـ والكلام لابن عاشور ـ في تفسير سورة الفاتحة أنَّ العرب كانوا إذا شَرعوا في عمل قالوا: بسم اللات باسم العزى. وفعلاً هذا ما ذكرالزمخشري أنهم كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون: باسم اللات، باسم العزى.

﴿**الْعُزَّى**﴾: فعلى من العز، وأصلها تأنيث الأعز كالفضلى والأفضل؛ وجاء في القاموس والعزى العزيزة وتأنيث الأعز ويُظن أن اسمها «الْعُزَّى» مؤنث العزيز..

صَنَمٌ كان لكنانة وقريش، أو هي شجرة من السَّمُر كانت لبني غطفان بَنَوا عليها بيتًا وجعلوا يعبدونها، وكانت الْعُزَّى شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف وكانت قريش تعظمها، حتى أنَّ أبا سفيان قال يوم أحد: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم.

فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

ويُقال: أول من اتخذها ظالم بن أسعد فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال، بنى عليها بيتاً وسمّاه بساً، وكانوا يسمعون فيها الصوت.

ويُقال: إنَّ رسول الله ﷺ بعث إليها خالد بن الوليد فقطعها، أو فهدم البيت وأحرق

السمرة، فخرجت منها شيطانة، ناشرة شعرها داعية ويليها، أي تدعو بالويل والثبور، واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها، وهي تقول:

يا عزّ كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله، فقال عليه السلام: «تلك العزى ولن تعبد أبداً».

﴿**مَنَاةَ**﴾: واشتقاقها من منى يمنى أي صبّ؛ لأن دماء النسائك كانت تصب عندها. وقرئ: «ومناءة» وكأنها سميت مناة؛ لأنّ دماء النسائك كانت تمنى عندها، أي: تراق، ومناءة مفعلة من النوء، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها. وأيضاً اختلف فيها بين كونها تمثالاً حجريّاً أو صخرة، يقدمون لها ذبائحهم، ولعلّ اسمها اشتُقَّ من تلك الدماء التى تُمنَى من ذبائحهم وقرابينهم.

يقول عنها الدكتور جواد علي:

إنها كانت صنماً وأمامه صخرة تمثل المذبح، وكان الأوس والخزرج أهم من عظّموا هذه الإلهة، حتى أنهم كانوا لا يتمون حجهم قبل الإسلام إلاّ بزيارتها وحلاقة رؤوسهم عندها. ويقول البعض إن عابديها كانوا يعتقدون أنها آلهة كريمة طيبة تجلب الخير ولهذا نصبوا تمثالها عند ساحل البحر المرتبط بالماء، والذي تأتي من ناحيته السحب المحملة بالأمطار إلى قلب الحجاز. بينما يقول آخرون إنه كان إلهاً للأمنيات السعيدة وللمنايا، أي الموت، وللحظوظ، وثمة آراء تعتبر أن مصدر مناة هو بلاد بابل لوجود آلهة بابلية اسمها "ماميناتو". وقد انتهت عبادتها حين أرسل الرسول علي بن أبي طالب لهدم معبدها.

و﴿**ٱلْأُخْرَىٰ**﴾ ذمّ، وهي المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله تعالى: ﴿**قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ**﴾.

أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم. ويجوز أن تكون الأوّلية والتقدّم عندهم للات والعزى. وعند الرازي كلام طويل عن ٱلأخْرَى.

وكانت «مَنَاةَ» بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة. وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتهم يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة. يقول القرطبي: فكانت مناة لِهُذَيْل وَخُزَاعة؛ فبعث رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام عنه فهدمها عام الفتح.

اختلف المؤرخون على ما إذا كانت تمثالاً أم صخرة. فمنهم مَن قال إنها تمثال حجري على ساحل البحر الأحمر، ومنهم مَن قال إنها صخرة تقدَّم لها الذبائح وإنها حملت اسم "مناة" لأن الدماء كانت عندها "تُمنَى"، أي تراق من القرابين. ويقول الدكتور جواد علي، صاحب موسوعة "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، إنها كانت صنماً وأمامه صخرة تمثل المذبح.

وكان الأوس والخزرج أهم من عظّموا هذه الإلهة، حتى أنهم كانوا لا يتمّون حجهم قبل الإسلام إلاّ بزيارتها وحلاقة رؤوسهم عندها. ويقول البعض إن عابديها كانوا يعتقدون أنها إلهة كريمة طيبة تجلب الخير ولهذا نصبوا تمثالها عند ساحل البحر المرتبط بالماء، والذي تأتي من ناحيته السحب المحملة بالأمطار إلى قلب الحجاز. بينما يقول آخرون إنه كان إلهاً للأمنيات السعيدة وللمنايا، أي الموت، وللحظوظ، وثمة آراء تعتبر أن مصدر مناة هو بلاد بابل لوجود إلهة بابلية اسمها "مامناتو". وقد انتهت عبادتها حين أرسل الرسول علي بن أبي طالب لهدم معبدها.[1]

التأنيث:

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾.

أما عن تأنيثهم لهذه الأسماء لمعبوداتهم، فقد عقّب الله تعالى في تنزيله العزيز باستنكار آخر لدعوًى أخرى لهم حين اختاروا الذكور لأنفسهم ، فيما الإناث جعلوها لله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾.

والمظنون أن هذه المعبودات كانت رموزًا لملائكة يعتبرهن العرب إناثاً ويقولون:

---

١. انظر المعجم الوسيط، الفعل: لَتَّ..؛ ومفردات الراغب الأصفهاني؛ وتفسير الطبري؛ والكشاف، للزمخشري؛ ومفاتيح الغيب، للرازي؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ وتفسير التحرير والتنوير؛ وفي ظلال القرآن، لسيد قطب؛ وإعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحي الدين آل درويش : الآيتان .

إنهن بنات الله. ومن هنا جاءت عبادتها، والذي يقع غالباً أن ينسى الأصل، ثم تصبح هذه الرموز معبودات بذاتها عند جمهرة العباد. ولا تبقى إلاّ قلة متنورة هي التي تذكر أصل الأسطورة!

وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا، فقال جلّ ثناؤه لهم: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعُزَّى ومناة الثالثة بنات الله ﴿**أَلَكُمُ الذَّكَرُ**﴾ يقول: أتختارون لأنفسكم الذكر من الأولاد وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون ﴿**لَهُ الأُنْثَى**﴾ التي لا ترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهةً منكم لهنّ.

وبالتالي:

﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ**﴾.[1]

وقد عبر عنها القرآن المجيد في معرض إبطاله لمناط عبادتها، وأنها لا أساس لها ولا واقع، ولا حجّة فيها ولا دليل، وبالتالي فهي مجرد أسماء تُطلقونها عليها لا حقيقة لها: ﴿**...أَتُجَادِلُونَنِى فِى أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنْتُمْ وَآبَآؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ ٱللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ...**﴾.[2]

فليس تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهة، يخرجها عن كونها أحجاراً، مقرّها الأرض لا تملك تصرفاً ولا يعرج بها إلى رفعة، فهي لا معاني تحتها؛ لأنها جمادٌ لا ضرّ عندها ولا نفع، فهي تسميات أُلقيت على جمادات، وهي بالتالي ﴿**مَّآ أَنزَلَ ٱللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ**﴾، لم ينزل الله كتاباً لكم فيه حجّة بما تقولونه...

ابن عاشور ذهب إلى إبطال عبادة الأصنام، ومناط الإبطال قوله: ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ أَمَرَ**

---

١. سورة النجم : ٢٣ .

٢. سورة الأعراف : ٧١ .

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾،[1]

ويذكر أيضاً: ولمّا قَدّم إنذارهم بغضب الله عاد إلى الاحتجاج عليهم بفساد معتقدهم فأنكر عليهم أن يجادلوا في شأن أصنامهم. والمجادلة: المحاجة.

وعبّر عن الأصنام بأنّها أسماء، أي هي مجرّد أسماء ليست لها الحقائق التي اعتقدوها ووضعوا لها الأسماء لأجل استحضارها، فبذلك كانت تلك الأسماء الموضوعة مجرّد ألفاظ، لانتفاء الحقائق التي وضعوا الأسماء لأجلها. فإنّ الأسماء توضع للمسمّيات المقصودة من التّسمية، وهم إنّما وضعوا لها الأسماء واهتمّوا بها باعتبار كون الإلهيّة جزءاً من المسمَّى الموضوع له الاسم، وهو الدّاعي إلى التّسمية، فمعاني الإلهية وما يتبعها ملاحظةٌ لمن وَضَع تلك الأسماء، فلمّا كانت المعاني المقصودة من تلك الأسماء منتفية كانت الأسماء لا مسمّيات لها بذلك الاعتبار، سواء في ذلك ما كان منها له ذوات وأجسام كالتّماثيل والأنصاب، وما لم تكن له ذات، فلعلّ بعض آلهة عاد كان مجرّد اسم يذكرونه بالإلهيّة، ولا يجعلون له تمثالاً ولا نُصباً، مثل ما كانت العزّى عند العرب، فقد قيل: إنهم جعلوا لها بيتاً ولم يجعلوا لها نصباً، وقد قال الله تعالى في ذلك:

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾.[2]،[3]

من ظواهر الضلال:

كثيرة ظواهر الضلال التي استتبعت الشرك الذي وقعوا فيها طيلة تاريخهم، وكانت نتائج طبيعية لعقائد بعيدة كلَّ البعد عن مناهج السماء، ابتدعوها وراحوا يدينون بها.

يقول الشهرستاني وهو يتحدث عن العرب: إعلم أنَّ العرب أصناف شتى فمنهم

---

١. سورة يوسف : ٤٠ .

٢. سورة النجم : ٢٣ .

٣. انظر التحرير والتنوير : الآية .

معطلة ومنهم محصلة... وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجّوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وقرّبوا القرابين، وتقرّبوا إليها بالمناسك والمشاعر، وأحلّوا وحرموا وهم الدهماء من العرب...

والدهماء: عامة الناس وسوادهم.

وكذا يذكر المسعودي حين يُبيّن عقائد العرب قائلاً: كانت العرب في جاهليتها فرقاً، منهم الموحد المقرّ بخالقه، المصدق بالبعث والنشور؛ موقناً بأنَّ الله يُثيب المطيع ويُعاقب العاصي...

وكان من العرب من أقرَّ بالخالق، وأثبت حدوث العالم، وأقرَّ بالبعث والإعادة، وأنكر الرسل، وعكف على عبادة الأصنام، وهم الذين حكى الله عزَّوجلَّ قولهم: ﴿**... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللهِ زُلْفَى...**﴾.[1]

وهذا الصنف هم الذين حجّوا إلى الأصنام وقصدوها، ونحروا لها البدن، ونسكوا لها المناسك، وأحلوا وحرموا...

لقد اتفقت كلمة من أرّخ لعلاقة أهل الجاهلية بما نحتته أيديهم وبما ورثوه عن آبائهم من أصنام وأوثان وتماثيل وأنصاب، على أنهم كانوا يضاهون بها بيت الله، ويعظمونها تعظيمه، ويؤدّون لها ما يؤدّونه لها...

فهذا ابن كثير في تفسيره للآيتين ١٩ ـ ٢٠ النجم. وقد تعرض لموضوع بيوت الأصنام: اللات والعزّى ومناة، فقال: وروى البخاري عن عائشة نحوه. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أُخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة، غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر؛ لأنها أشهر من غيرها.

---

١. سورة الزمر : ٣ .

قال ابن إسحاق في السيرة: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، بها سدنة وحجاب، وتهدي لها كما يهدى للكعبة، وتطوف بها كطوفاتها بها، وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده.

وبعد أن ذكر جواد علي هذين القولين في كتابه المفصّل، واصل كلامه قائلاً: وما فات من أسماء المحجات في العربية الجنوبية والشرقية وفي نجد، قد يزيد عدده على ما ذكرنا. فات عنا؛ لأن أهل الأخبار لم يذكروا شيئًا عنها، لانصراف اهتمامهم إلى الحجاز وما كان له صلة بالإسلام، من أرضين، فحرمنا بذلك من الوقوف على أخبار المحجات في المواضع الأخرى من جزيرة العرب.

ويحج الناس إلى هذه البيوت في أشهر معينة من السنة، هي الأشهر الحرم، وهي أشهر مقدسة لا يحل فيها قتال ولا اعتداء على أحد، فهي أشهر هدنة وسلام، أشهر خصصت بالآلهة، فلا يجوز انتهاك حرمتها. وفي شهر الحج الذي حج فيه الناس إلى أصنامهم، يجتمع الناس في المعبد لأداء الفروض المكتوبة المعينة، فيكون الاجتماع اجتماعًا دينيًّا وسياسيًّا وتجاريًّا يتعامل فيه الناس. ويتبادلون به السلع، ويعود على أهل الموضع الذي فيه المعبد بأرباح كبيرة ولا شك. وقد ذكرت أن هذه الحرمة لم تكن عامة، فقد كان من العرب من لا يراعيها ولا يحترمها، ثم إننا لا ندري إذا كان أهل العربية الجنوبية أو العربية الشرقية كانوا يعرفونها أم لا!

فعقائد العرب خليط، يأخذونها من هنا وهناك، بلا تفكير ولا تأمل، ومما يقوله ابن عاشور وهو يتناول معتقدات العرب: وقد كان دين العرب في الجاهلية خليطاً من عبادة الأصنام، ومن الصابئة عبادة الكواكب وعبادة الشياطين ومجوسية الفرس، وأشياء من اليهودية والنصرانية.

أما لماذا؟

فيجيب: فإنَّ العرب لجهلهم حينئذ، كانوا يتلقون من الأمم المجاورة لهم، والتي

يرحلون إليها عقائد شتى متقارباً بعضها ومتباعداً بعض، فيأخذون بدون تأمل ولا تمحيص؛ لفقد العلم فيهم، فإنَّ العلم الصحيح هو الذائد عن العقول من أن تُعشش فيها الأوهام والمعتقدات الباطلة، فالعرب كان أصل دينهم في الجاهلية عبادة الأصنام، وسرت إليهم معها عقائد من اعتقاد سلطة الجن والشاطين ونحو ذلك...[١]

مما ذكروا، لنا أن نقف قليلاً عند ظاهرتين أو ممارستين خطيرتين من قبل: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى...**﴾.

تحملان تجاوزاً كبيراً على وحدانيّة الله تعالى، وعلى المنهج المبارك، الذي خطّه نبيُّ الله إبراهيم وتبعه عليه الأنبياء والصالحون، والمتمثل برفع قواعد البيت وتهيئته والأذان بالحج إليه لا إلى غيره:

الظاهرة الأولى: كعبات عديدة:

فبدل أن تكون تلك الأقوام، التي خلفت عهد النبيِّ إبراهيم عليه السلام، أكثر وفاءً لمشروعه التوحيدي؛ مشروع السماء، فقد أتت على ذلك الوادي المبارك ببيت الله الحرام، فعاثت بطهارته فساداً عبرأصنامها وأوثانها، وبانحرافات عقائدية، وتشويه لمعالم التوحيد الخالص، ولمناسك حجّه وعمرته، ولم تكتفِ بهذا، بل راحت تخلق لأصنامها بيوتاً على شكل الكعبة المباركة هنا وهناك عند القبائل على امتداد الجزيرة العربية، وتسميها كعبة وتضيفها إلى صنم أو مكان أو شخص أو قبيلة، وتجعل لها سدنةً، ويحجُّ إليها، حيث تُؤدى عندها مناسك الحجّ.

يقول ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يُقال له رئام، كانوا يعظمونه ويتقربون لله عنده بالذبائح، وكان يُطاف به كذلك.

---

١. انظر الملل والنحل؛ تاريخ المسعودي ١ : ٤٣٩؛ التحرير والتنوير ٦ : ٢٤٣ــ٢٤٤؛ تفسير ابن كثير؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي ٦: ٢٢ـ٢٣ .

أما اللات فكان لها بيت مشيد في ثقيف الطائف ترتحل إليه العرب، ويضاهون به أهل الطائف الكعبة، ويسمونه "**بيت الربة**"، وجعلوا لها كسوة وحَجَبَة، وسدانتها لآل أبي العاص بن أبي يسار بن مالك ولبني عتّاب بن مالك، وهما أسرتان ثريتان من ثقيف، وله وادي يُدعى "**حَرَم الربة**"، من دخله فهو آمن، لا يُقطع شجره ولا يصاد حيوانه. وتقول الروايات إن قبيلة ثقيف امتنعت عن نُصرة الكعبة إبان حملة أبرهة عليها، وإنما أرسلت إليه من يتعاون معه فيدله على مكانها..، وبعد ذلك بزمن أقيم في موضعه مسجد الطائف.. وقد أمر الرسول صلى الله عليه وآله بعد فتح مكة بهدمها وكان لهذه الكعبات أبواب لا تفتح إلاّ لمن يريد التعبّد أو يأتي بنذر وهديّة لها، وقد تكون مسقفةً أو مكشوفةً بلا سقف، و يُنقل أنَّ عددها ٢٠ــ ٢٤ كعبةً أو أقلَّ من ذلك أو أكثر، وكان منها كعبة نجران، وكعبة غطفان، وكعبة ذي الخلصة وغيرها. وإن حظيت جميعها بتقدير قبائلها وولائها، إلاّ أن ذلك لم يصل إلى ما حظيت به كعبة البيت الحرام من احترام وشرف وإجلال مع انحرافهم وضلالهم.. وكانوا لا يتأخرون كثيراً عنها، وكيف يكون هذا ولكل قبيلة صنم أو نصبٌ حول الكعبة، ومكة تقع على طريق تجاري تمرّ عليه أكثر قواقلهم بين اليمن والشام، فتجد عند أهل مكة تكريماً واحتراماً؛ فهم لا يهمهم مَن يعبد مَن بقدر رواج التجارة وجلب الأموال والسلع.. وبالتالي فمكة ملتقى القوافل..

الظاهرة الثانية: ﴿وَ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ ﴿وَ مَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾

هكذا وكما ذكرنا، كانوا يأتون بذبائحهم، يتقرّبون بها إلى آلهة صنعوها بأيديهم، حتى أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكرها ويقولون: باسم اللات أو باسم العزّى حين الذبح؛ وسمّي عملهم هذا إهلالاً، وكذا ما تذبحه العرب في جاهليتها على ٱلنُّصُب؛ وهي أحجار حول الكعبة، وعددها ثلثمائة وستون نصباً، ويشرّحون اللحم ويضعونه عليها.. فعدَّتها السماءُ من المحرمات لا لعلّة فيها، بل لأنها شرك حين يتوجّهون بها لغير الله تعالى، فلنقف قليلاً عند هذه الممارسة، التي سمّتها الآية ١٤٥ الأنعام: ﴿**فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾، ولعلَّه إشارة لما في الآية الأسبق ١٢١ من سورة الأنعام: ﴿**وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ**

وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، فهما يفيدان معنًى واحداً .. وكذا في الآية ٣ من المائدة: ﴿**ذلِكُمْ فِسْقٌ**﴾ على قول ثان.

﴿**أُهِلَّ**﴾ **لغةً واصطلاحاً:**

مصدر هلل وهو مأخوذ من مادة (هـ ل ل) التي تدل على رفع الصوت ثم يتوسع فيه. فيسمى الشيء الذي يصوت عنده ببعض ألفاظ الهاء واللام (المضعفة) ثم يشبه بهذا المسمى غيره فيسمى به والأصل قولهم: أهل بالحج رفع صوته بالتلبية، واستهل الصبي صارخاً صوت عند ولادته، قال ابن أحمر في الإهلال:

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر

وقال الراغب: والإهلال رفع الصوت عند رؤية الهلال، ثم استعمل لكل صوت وبه شبه إهلال الصبي، وقوله عزَّوجلَّ: ﴿**وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ**﴾،[1] أي ما ذكر عليه غير اسم الله وهو ما كان يذبح لأجل الأصنام.

وقيل: الإهلال والتهلل أن يقول: لا إله إلا الله...، ومنه الإهلال بالحج...، وأهَلَّ الرجل واستهلَّ إذا رفع صوتَه، وأهَلَّ المُعْتَمِرُ إذا رفع صوتَه بالتَّلْبية، وتكرر في الحديث ذكر الإِهْلال، وهو رفعُ الصوت بالتَّلْبية.

أهَلَّ المحرِمُ بالحج يُهلُّ إهْلالاً إذا لَبَّى ورفَع صوتَه.

والمُهَلُّ، بضم الميم: موضعُ الإِهْلال، وهو الميقات الذي يُحْرمون منه، ويقع على الزمان والمصدر.

الليث: المُحرِمُ يُهلُّ بالإِحْرام إذا أوجب الحُرْم على نفسه؛ تقول: أهَلَّ بحجَّة أو بعُمْرة في معنى أحْرَم بها، وإنما قيل للإِحرامِ إهْلال لرفع المحرِم صوته بالتَّلْبية.

---

١. سورة البقرة : ١٧٣ .

والإِهْلال: التلبية، وأصل الإِهْلال رفعُ الصوتِ، وكل رافِعٍ صوتَه فهو مُهِلّ، وكذلك قوله عزَّوجلَّ: وما أُهِلَّ لغير الله به؛ هو ما ذُبحَ للآلهة وذلك لأَنّ الذابح كان يسمِّيها عند الذبح، فذلك هو الإِهْلال.

وقال السمين الحلبي: والإِهلالُ: مصدرُ أَهَلَّ أي: صَرَخَ ورفَع صوتَه ومنه: الهِلال لأنه يُصرَخُ عند رؤيتِه، واستهَلَّ الصبيُّ.

قال ابن أحمر:

يُهلُّ بالغَرْقَدِ رُكْبَانُها كما يُهلُّ الراكبُ المُعْتَمِرُ

قال النابغة:

أو دُرَّةٌ صَدَفِيَّةٌ غَوَّاصُها بَهجٌ متى يَرَها يَهلُّ ويَسْجُدُ

وقال:

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لقتلى هُذَيْلٍ وترى الذئبَ لها يَسْتَهِلُّ.[1]

وفي التنزيل العزيز: وقد ردت آيات تذكر هذه الممارسة؛ وهي:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ... وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ ٱللهِ ...﴾.[2]

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ... وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللهِ بِهِ ... وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ...﴾.[3]

﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِى مَآ أُوْحِىَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ... أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللهِ بِهِ...﴾.[4]

---

١. مفردات القرآن؛ لسان العرب؛ الدر المصون : الآية .

٢. سورة البقرة ١٧٣ .

٣. سورة المائدة : ٣ .

٤. سورة الأنعام ١٤٥ .

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ... وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ...﴾.[١]

الشيخ الطبرسي: فالإهلال في الذبيحة رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمّون الأوثان والمسلمون يسمون الله..

﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: أنه ما ذكر غير اسم الله عليه عن الربيع وجماعة من المفسرين.

والآخر أنه ما ذبح لغير الله عن مجاهد وقتادة.

والأول أوجه.

الشعراوي: أي رفع الصوت به لغير الله كقولهم: باسم اللات والعزى عند ذبحه، ولا يقال عند ذبحه: الله أكبر بسم الله..

و لابدّ للإنسان أن يعرف الشكر لواهب النعمة، فـ «بسم الله، الله أكبر» تؤكد أنك لم تذبحه إلاّ باسم من أحله لك.

السيد العلاّمة: فالمراد من النهي عن أكل لحوم ما ذبح على النصب أن يستنّ بسنن الجاهلية في ذلك، فإنهم كانوا نصبوا حول الكعبة أحجاراً يقدسونها ويذبحون عليها، وكان من سنن الوثنية..

أما ابن عاشور فقد ذكرنا قوله في الأنصاب، وكان منه: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾، هو ما كانوا يذبحونه من القرابين والنُشُرات فوق الأنصاب... فهو يذهب إلى أنها حجارة موضوعة لأنّ تذبح عليها القرابين والنسائك التي يتقرّب بها للآلهة وللجنّ، وهي غير معدودة ولا كانت لها أسماء، وإنّما كانوا ـ يتّخذها كلّ حَيّ ـ يتقرّبون عندها..

وفي حديث فتح مكّة: كان حول البيت ثلاثمائة ونيّف وستّون نصباً، وكانوا إذا ذبحوا عليها رشّوها بالدم ورشّوا الكعبة بدمائهم. وقد كان في الشرائع القديمة تخصيص صخور

---

١. سورة النحل ١١٥ .

لذبح القرابين عليها، تمييزاً بين ما ذُبح تديّناً وبين ما ذبح للأكل، فمن ذلك صخرة بيت المقدس، قيل: إنها من عهد إبراهيم وتحتها جبّ يعبّر عنها ببئر الأرواح، لأنها تسقط فيها الدماء، والدمُ يسمّى رُوحاً. ومن ذلك فيما قيل: الحجر الأسود كان على الأرض ثم بناه إبراهيم في جدر الكعبة. ومنها حجر المقام، في قول بعضهم. فلما اختلطت العقائد في الجاهلية جعلوا هذه المذابح لذبح القرابين المتقرّب بها للآلهة وللجنّ.

وفي «البخاري» عن ابن عباس: النصُب: أنصاب يذبحون عليها. قلت: ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ**﴾ بحرف (على)، ولم يقل وما ذبح للنُصب؛ لأنّ الذبيحة تقصد للأصنام والجنّ، وتذبح على الأنصاب، فصارت الأنصاب من شعائر الشرك.

و وجه عطف ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ**﴾ على المحرّمات المذكورة هنا، مع أنّ هذه السورة نزلت بعد أن مضت سنين كثيرة على الإسلام وقد هجر المسلمون عبادة الأصنام، أنّ في المسلمين كثيرين كانوا قريبي عهد بالدخول في الإسلام، وهم وإن كانوا يعلمون بطلان عبادة الأصنام، أوّل ما يعلمونه من عقيدة الإسلام، فقد كانوا مع ذلك مدّةَ الجاهلية لا يختصّ الذبحُ على النصُب عندهم بذبائح الأصنام خاصّة، بل يكون في ذبائح الجنّ ونحوها من النُشُرات وذبائح دفع الأمراض ودفع التابعة عن ولدانهم، فقالوا: كانوا يستدفعون بذلك عن أنفسهم البرص والجذام ومسّ الجن، وبخاصّة الصبيان، ألا ترى إلى ما ورد في كتب السيرة: أنّ الطفيل بن عَمرو الدوْسي لمّا أسلم قبل الهجرة ورجع إلى قومه ودعَا امرأته إلى الإسلام قالت له: أتخشى على الصبية من ذي الشَّرَى (صَنَم دوس). فقال: لا، أنا ضامن، فأسلمتْ، ونحو ذلك، فقد يكون منهم من استمرّ على ذبح بعض الذبائح على الأنصاب التي في قبائلهم على نيّة التداوي والانتشار، فأراد الله تنبيههم وتأكيد تحريم ذلك وإشاعته ؛ ولذلك ذِكر في صدر هذه السورة وفي آخرها عند قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.[١]

وهكذا أيضاً، هم العادلون بربهم الأوثان والأصنام في ضلال مطلق وتصورات ومزاعم وشرائع فاسدة؛ راحوا ينسبونها إلى الله بغير علم ولا هدًى، ومن أين يأتيهم العلم والهدى وهم في جهالة وتجهيل وعناد؟!

ونجد هذا منهم أيضاً في المقطع القرآني من سورة الأنعام المكيّة ١٣٦ــ١٥٣، فنقف قليلاً عند الآية الأولى فقط:

﴿وَجَعَلُواْ للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى ٱللهِ وَمَا كَانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.[٢]

فهناك نصيبان، نصيب لله، ونصيب للأصنام، هكذا راح الوثنيّون يُشركون أوثانهم وأصنامهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم من دون الله تعالى، فما رزقهم الله من رزق، وما أنشأ لهم من زروع وأنعام، يجعلون لله نصيباً منها، ولآلهتهم نصيباً منها، ولم يكتفوا بهذا التقسيم ويلتزموا به، بل راحوا ينتقصون من نصيب الله حين يأخذون منه ويضيفونه إلى نصيب آلهتهم، الذي لا يأخذون منه شيئاً، بل يحافظون عليه ويزيدونه من نصيب الله.

وفي قوله **﴿لِشُرَكَآئِنَا﴾** وجهان:

أحدهما: أنّ الشركاء من الشرك، ويعنون بهم آلهتهم التي أشركوا بينها وبين الباري تعالى في العبادة، والإضافة هنا إضافة تخصيص، والمعنى: الشركاء الذين أشركوا بينهم وبين الله في العبادة.

والثاني: أنّ الشركاء من الشركة، ومعنى كونهم سَمُّوا آلهتهم شركاءهم أنهم جعلوهم

---

١. سورة المائدة : ٩٠ ؛ انظر مجمع البيان؛ خواطر محمد متولي الشعراوي؛ الميزان في تفسير القرآن؛ التحرير والتنوير .

٢. سورة الأنعام : ١٣٦ .

شركاء في أموالهم وزروعهم وأنعامهم ومتاجرهم وغير ذلك، فتكون الإِضافة إضافةً لفظيةً: إمَّا إلى المفعول أي: شركائنا الذين شاركونا في أموالنا، وإمَّا إلى الفاعل أي: الذين أشركناهم في أموالنا...

وقد تعددت أقوال المفسرين وأخبارهم في مراد الآية، نكتفي برواية عن علي بن إبراهيم وبما ذكره الشيخ الطبرسي:

إن العرب كانوا إذا زرعوا زرعاً، قالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا. وكانوا إذا سقوها فخرق الماء من الذي لله في الذي للأصنام لم يسدوه، و قالوا: الله أغنى، وإذا خرق شيء من الذي للأصنام في الذي لله سدوه، وقالوا: الله أغنى. وإذا وقع شيء من الذي لله في الذي للأصنام لم يردوه، وقالوا: الله أغنى. وإذا وقع شيء من الذي للأصنام في الذي لله ردوه، وقالوا: الله أغنى. فأنزل الله في ذلك على نبيّه صلى الله عليه وآله وحكى فعلهم و قولهم فقال:

﴿وَجَعَلُواْ للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى ٱللهِ وَمَا كَانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

الشيخ الطبرسي: ثم عاد الكلام إلى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه: **﴿وَجَعَلُوا لِلّٰهِ﴾** أي كفار مكة ومن تقدَّمهم من المشركين والجعل هنا بمعنى الوصف والحكم **﴿مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ﴾** أي مما خلق من الزرع **﴿وَ الْأَنْعَامِ﴾** أي المواشي من الإبل والبقر والغنم: **﴿نَصِيباً﴾** أي حظّاً و هاهنا حذف يدلُّ الكلام عليه وهو وجعلوا للأوثان منه نصيباً. **﴿فَقَالُوا هَذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾** يعني الأوثان وإنما جعلوا الأوثان شركاءهم؛ لأنهم جعلوا لها نصيباً من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم **﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ﴾**.

ثمَّ يذكر ثلاثة أقوال، نوجزها:

أحدها: أنهم كانوا يزرعون لله زرعاً وللأصنام زرعاً، فكان إذا زكا الزرع الذي زرعوه لله ولم يزك الزرع الذي زرعوه للأصنام، جعلوا بعضه للأصنام وصرفوه إليها ويقولون: إن الله غنيٌّ والأصنام أحوج، وإن زكا الزرع الذي جعلوه للأصنام ولم يزك الزرع

الذي زرعوه لله، لم يجعلوا منه شيئاً لله، وقالوا: هو غني، وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للأصنام، فما كان لله أطعموه الضيفان، وما كان للصنم أنفقوه على الصنم.

وثانيها: أنه كان إذا اختلط ما جُعِل للأصنام بما جُعل لله تعالى ردُّوه، وإذا اختلط ما جُعل لله بما جُعل للأصنام تركوه، وقالوا: الله أغنى. وإذا تخرق الماء من الذي لله في الذي للأصنام لم يسدّوه، وإذا تخرق من الذي للأصنام في الذي لله سدُّوه، وقالوا: الله أغنى.

وثالثها: أنه كان إذا هلك ما جعل للأصنام بدّلوه مما جعل لله، وإذا هلك ما جعل لله لم يبدّلوه مما جعل للأصنام.[١]

الثالث: موقف رسول الله صلى الله عليه وآله

وأخيراً أُخرجت الأصنام من التاريخ!!

كان هذا في عهد خاتم النبيين رسول الله محمد صلى الله عليه وآله بعد أن كان يرى قومه وقد أولعوا بها، وعجّت بها ساحات مكة، فمنهم من اتخذها بيتاً على غرار الكعبة كما ذكرنا، ومنهم من لم تساعده أمواله ليبني بيتاً، اتخذ صنماً ربّاً له، ومن لم يقدر، اتخذ حجراً نصباً في بيته أو في الحرم داخله أو خارجه، في أي مكان يراه حسناً ومناسباً له، وحتى في سفرهم، يأخذ معه أحجاراً أربعة، يجعل أحسنها ربّاً له والباقي أثافي لقدره، وكان صلى الله عليه وآله يراهم ولهم ثلاثة أصنام كبرى (مناة، واللات، والعُزّى)، أضلّتهم حتى جعلتهم يعظمونها كما يعظمون الكعبة، تلك التي رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام، وجعلتهم يحجّون إليها كما يحجّون البيت الحرام، وينحرون لها ذبائحهم، ويملأون الأجواء بأصوات عالية..

لقد أضلّت أُماً، وأهلكت أُخرى، وأودت بحياة آخرين في نزاع طويل بين من ارتضوها وقبلوا بها وسيلة عبادية تشبع مشاعرهم، وتروي ظمأهم الروحي كما تصور لهم أوهامهم وشياطينهم، وبين أناس لا يريدون أن يحيدوا عن عقولهم وبصائرهم، ويبتعدوا عن

١. انظر الدرّ المصون، للسمين الحلبي؛ البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني البحراني؛ ومجمع البيان.

وعيهم في اختيار عبادة إله خالق مبدع قادر بيده ملكوت كل شيء.. فاحتدم الصراع وأخذ مفاصل كثيرة من حياة الإنسان بين أولئك المعاندين المستكبرين، الذين رأوا مصالحهم وهواهم في بقاء هذا النوع من العبادة للأصنام والأوثان وما هو على شاكلتها... وبين أنبياء ورسل، بعثتهم السماء لوضع حدٍّ لمثل هذه العبادات والسلوكيات الضالة، التي زينها إبليس لهم فتبعوه. ولإعادة الناس إلى عبادة الله تعالى وحده، واتباع كتبه وشرائعه..، فكان النبيُّ محمدﷺ خاتم الأنبياء، وكانت رسالته خاتمة الرسلات، وكان موقفه من هذه الظواهر الوثنيّة حاسماً وواضحاً، وكارهاً لها وهو لم يزل صبيّاً في قومه، فلم يعظم صنماً، ولم يسجد لآخر أبداً، ولم يُشارك قومه في عيد من أعيادها، ولم يذق شيئاً ولو صغيراً من لحوم نذور عبّادها وقرابينهم على كثرتها ودوامها، بل كان ينفر منها، ويبغضها بغضاً شديداً، فقد استحلف ذات مرة وهو دون السنة الثانية عشرة من عمره بأوثان قريش المعروفة في أيام الجاهلية، فأنكر عليه الصلاة والسلام ذلك بكل حزم وقوة، وأيضاً كان يأبى أن يأكل من سفرة تُقدم له من قبلهم فيها لحم، ويقول لهم بكل جرأة وصراحة: «إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلاّ مما ذُكر اسم الله عليه...».

لقد كانﷺ يرى قومه وهم مشركون، يعبدون أصناماً و أوثاناً، ويتخذونها آلهة لهم، فاعتزلهم وما يعبدون، والتجأ إلى غار حراء، يتعبّد ويتهجّد فيه، ويفكر في ملكوت السماوات والأرض، وفي أحوال قومه وما هم عليه من الشرك والفساد، حتى بعثه الله تعالى نبيّاً ورسولاً لا فقط إلى قريش بل للناس كافة ورحمة، يدعوهم إلى ترك عبادة الأصنام، وإلى عبادة الله وحده، فما كان من قريش إلاّ أن أنكرت عليه دعوته هذه وموقفه من أوثانهم؛ آلهتهم كما يُحبون تسميتها، فراحوا يعجبون منه ويتهمونه بالسحر والكذب:

﴿وَعَجِبُواْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هَـٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ ٱلآلِهَةَ إِلَـهاً وَاحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.[1]

---

١. سورة ص ٤ ـ ٥ .

ولطالما اشتكته قريش إلى عمِّه أبي طالب مرات ومرات، وهددت وتوعـدت، قـال ابن إسحاق: مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالـب، إن ابـن أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسَفَّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفّه عنـا، وإمـا أن تخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبوطالب: قولاً رقيقًا وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه. ولكن لم تصبر قريش طويلاً حين رأته صلى الله عليه وسلم ماضياً في عمله ودعوته إلى الله، بل أكثرت ذكره وتذامرت فيه، حتى قررت مراجعة أبي طالب بأسلوب أغلظ وأقسى من السابق.

وجاءت سادات قريش إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب، إن لـك سـناً وشـرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلـك، حـتى يهلك أحد الفريقين.

عظُم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبعث إلى رسـول اللهﷺ وقـال له: يا بن أخي، إنّ قومك قد جاءونى، فقالوا لي كـذا وكـذا، فـأبق علـيَّ وعلـى نفسـك، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول اللهﷺ أن عمَّه خاذلـه، وأنـه ضـعُف عـن نصرته.

فقال: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ـ حتى يظهره الله أو أهلك فيه ـ ما تركته». ثم استعبر وبكى، وقام، فلمـا ولى نـاداه أبو طالب، فلما أقبل قال له: اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فو الله لا أسْـلِمُك لشـيء أبداً وأنشد:

والله لن يصلوا إليك بجَمْعِـهِم حتى أُوَسَّدَ في التـراب دفيـنًا

فاصدع بأمرك ما عليك غَضَاضَة وابْشِرْ وقَرَّ بذاك منك عيونًا

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ ماض في عمله عرفت أن أبا طالب قد أبي خذلان رسول الله ﷺ وأنه مجمع لفراقهم وعداوتهم في ذلك، فحاصرته ومن معه في الشعب، ثمَّ ناله منها أذًى شديد، وعذاب أليم خاصة بعد وفاة عمّه أبي طالب رضوان الله عليه، فراحت تفكر في وسائل أخرى لا فقط تكذيبه، واتهامه بالجنون والسحر، بل بالاعتداء عليه ضرباً وجرحاً، وشجّاً لرأسه، وكسراً لرباعيته، ورجماً بالحجارة حتى يُدمى، ووضع الأذى على ظهره، وخنقاً وهو يُصلي، حتى كاد أن يموت، وقد لخص ﷺ ما أصابه بما نسب إليه من قوله :«لقد أُخِفْتُ في الله وما يُخَافُ أحَدٌ، ولَقَدْ أُوذِيتُ في الله وما يُؤْذَى أحَدٌ»!

وأما تعذيبهم لضعاف أتباعه ومريديه ممن آمن بدعوته المباركة من أجل إعادتهم لعبادة اللات والعزى بكل وقاحة، فمنه ما ذكره ابن إسحاق:

«فَوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَجَعَلُوا يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بالضَّرْب وَالْجُوع وَالْعَطَش ، وَبِرَمْضَاءِ مَكَّةَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ؛... يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ... فَكَانَ بلالُ بْنُ رَبَاحٍ صَادِقَ الإِسْلامِ، طَاهِرَ الْقَلْبِ، وكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيرَةُ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لا وَاللهِ لاَ تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ، أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ: أَحَدٌ أَحَدٌ».

وكذا الحال مع آخرين، يُلبسونهم أدراع الحديد، ثمَّ يُصهرونهم في الشمس، فيبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حرِّ الحديد والشمس، منهم خبَّاب وصهيب، وعمار وأبوه ياسر وأمُّه سميّة رضوان الله عليهم، فقد كانت بَنُو مَخْزُوم يَخْرُجُونَ بعَمَّار بْن يَاسِر وَبأبيهِ وَأُمِّهِ... إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيرَةُ يُعَذبُونَهُمْ برَمْضَاءِ مَكَّةَ، فيمرّ بهم رسُولُ الله ﷺ فَيَقُولُ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدكُمُ الْجَنَّةُ».

فَأَمَّا أُمُّهُ، فكَانَتْ مِمَّنْ يُعَذَّبُ فِي الله؛ لِتَرْجعَ عَنْ دِينهَا فَلَمْ تَفْعَلْ، وَصَبَرَتْ حَتَّى مَرَّ بهَا أبوجَهْل يَوْمًا فَطَعَنَهَا بحَرْبَةٍ فِي قُبُلِهَا، فَمَاتَتْ رَحِمَهَا الله، وَهِيَ أولُ شَهِيدٍ فِي الإِسْلام، وَكَانَتْ عَجُوزًا كَبِيرَةً ضَعِيفَةً». وأما أبوه ياسر فقد استُشهد هو الآخر في العذاب نفسه، رضوان الله عليهما.

وبعد أن أقام صلى الله عليه وآله فيهم ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى عبادة الله وحده سرّاً ثم جهراً، هاجر إلى يثرب، المدينة المنورة؛ ليعود منها إلى مكة أولاً لكنه صدَّ فكان صلح الحديبية سنة ٦ هجرية. وثانياً في عمرة القضاء. وثالثاً في فتح مكة. ورابعاً في حجّة الوداع.

وبما أنَّ مقالتنا عن الأصنام، فنحن نقف قليلاً عند بنود صلح الحديبية، فإننا لا نجد فيها شرطاً أن ترفع قريش الأصنام من البيت الحرام، من حول الكعبة، حينما يعود رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه المسلمون في عمرة القضاء سنة ٧ هجرية بعد أن صدّوا عنها سنة ٦ هجرية ، وانتهى الأمر بين الرسول صلى الله عليه وآله ومشركي مكة بصلح الحديبية وكان من شروطها:

وأنك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل مكة، وأنه إذا كان عام قابل، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب؛ السيوف في القُرب، لا تدخلها بغيرها.

أو أن محمداً يرجع عنهم عامه هذا، وأصحابه، ثم يدخل في العام القابل مكة، فيقيم فيها ثلاثة أيام. ولا يدخل عليها بسلاح إلاّ سلاح المسافر: السيوف في القِراب...

ولكن في تفسير العياشي في خبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان من شرط رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم: أن يرفعوا الأصنام، فتشاغل رجل من أصحابه حتى أعيدت الأصنام، فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه: إنَّ فلاناً لم يطف، وقد أعيدت الأصنام، فأنزل الله: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾، أي والأصنام عليهما».[1]

وسواء رفعت الأصنام بكاملها في عمرة القضاء، أم لا، أو رفعت فقط أساف ونائلة من الصفا والمروة ...، فهو رفع موقت لم يدم إلاّ يومين أو ثلاثة أيام، إلاّ أنها رفعت بل

١. انظر شروط الصلح في سائر مصادرالتفسير والسيرة والتاريخ؛ وانظر مجمع البيان، للطبرسي؛ وتفسير العياشي ١: ٧٠ ؛ وأسباب النزول : الآية ١٥٨ البقرة .

أُطيح بها إلى الأبد حين أخرجت من الكعبة، ومن أماكن أخرى من الجزيرة يوم فتح مكة وبعده، ذلك الفتح المبارك في العام الثامن الهجري.. ورسول الله ﷺ يتلو آية ٨١ من سورة الإسراء:

﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾.

والمسلمون وقد علت أصواتهم يرددونها، وبلال من فوق الكعبة يرفع الأذان؛ ليملأ فضاء مكة بفصول أذان كتب لها الخلود، وبآيات قرآنية، لطالما نهت عن عبادة هذه الأصنام، وسفّهت أحلام وعقول الذين يتخذونها آلهةً من دون الله تعالى. فانتصرت بذلك كلمة الحق، وطهر ذلك الوادي الذي وصفته السماء: ﴿... **بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ...**﴾، من أكبر أسطورة، وأقدم خرافة، وأسفه ظاهرة عبادية عرفتها البشرية، في تاريخها الطويل، ولاذت بها، وانصاعت لها؛ فضلّت ضلالاً مبيناً...

وأعيدت دعوة التوحيد لنفس ذلك الوادي، لا لتبقى تراوح فيه، بل لتنطلق من جديد ﴿**كَافَّةً لِّلنَّاسِ**﴾، ﴿**رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾، وقع هذا بعد أن حاول زعماء قريش الاعتذار وتجديد العهد الذي نقض حلفاؤها بنداً من بنوده، التي دوّنت في صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة حين صدَّ مشركو مكة رسول الله ﷺ والمسلمين من دخول مكة للعمرة..، فقد نقض بنو بكر حلفاء قريش العهد واعتدوا على قبيلة خزاعة حلفاء الرسول ﷺ في مكة، إلا أنّ رسول الله ﷺ لم يستجب لوفد قريش بزعامة أبي سفيان، الذي قدم إلى المدينة المنورة متوسلاً مستجيراً بعدد من الصالحين دون جدوى..

وبعد أن سارع عمرو بن سالم الخزاعي شيخ قبيلة خزاعة إلى المدينة المنورة بطلب النصرة.

فقال له رسول الله ﷺ: نُصرت يا عمرو بن سالم!

وفي الثامن من شهر رمضان المبارك للسنة الثامنة للهجرة، وقف رسول الله ﷺ يدعو المسلمين؛ لينطلق بهم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة؛ ليعيد للبيت الحرام طهارته الأولى، وللوادي المبارك نقاوته، ولمكة قداستها، وللناس جميعاً سلامتهم ورشدهم

واستقامتهم على طريق الحق... وقد كثرت الأخبار، وتعددت الأقوال عن كيفية الإطاحة بمخلفات الشرك في مكة وفي باقي البلدان الأخرى بعدت عن مكة أو قربت.

ففي خبر أنَّ الله تعالى أعلمه أنه قد أنجزه وعده بالنصر على أعدائه، وفتح له مكة وأعلى كلمته ودينه، وأمره اذا دخل مكة أن يقول: ﴿**جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ...**﴾، فصار ﷺ يطعن الأصنام التى حول الكعبة بمحجنه، ويقول: ﴿**جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ...**﴾، فيخر الصنم ساقطاً، مع أنها كلها كانت مثبتة بالحديد والرصاص، وكانت ثلثمائة وستين صنماً بعدد أيام السنة.

وفي خبر أنَّ رسول الله ﷺ دخل مكة يوم فتحها في العشرين من شهر رمضان المبارك سنة ٨ هجرية، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مرصعة بالرصاص، ولكل حيّ من أحياء العرب صنم. قد شدَّ إبليس (أو الشياطين) أقدامها بالرصاص (والنحاس) فأخذ رسول الله ﷺ كفّاً من حصى فرماها في عام الفتح، فما بقي صنم إلاّ خرَّ لوجهه، فأمر بها، فأخرجت من المسجد، فطرحت فكسرت..

وفي خبر كان هبل أعظمها، وهو وجاه الكعبة، وأساف ونائلة حيث ينحرون عندها ويذبحون الذبائح، وفي يد رسول الله ﷺ قوس (عود) (مخصرة) وقد أخذ بسية القوس، فجعل رسول الله ﷺ كلما مرَّ بصنم منها يشير إليه، ويطعن في عينه (أو في بطنه...

وفي خبر أنَّ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة لم يدخل الكعبة إلاّ بعد تطهيرها من الأصنام والصور المجسدة، حيث جعلها المشركون متحفًا لأصنام وأوثان وصور، فعن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، وأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل فى أيديهما الأزلام، فقال ﷺ: «قاتلهم الله لقد علموا أنهما ما استقسما بها قط»، ثم دخل البيت فكبر فى نواحى البيت ولم يصل وفى رواية صلى فيه.

وعنه أيضاً: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها، وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبى ﷺ يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام وهو

يقول: ﴿**جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾. فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلاّ وقع ذلك الصنم لقفاه، ولا أشار لقفاه إلاّ وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم إلاّ وقع. أو يشير إلى الصنم بقوس فى يده وهو آخذ بسيتها وهو يقول: ﴿**جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾. ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾. فيقع الصنم لوجهه، وكان أعظمها هبل وهو وجاه الكعبة حذاء مقام إبراهيم لاصقاً بها. وفي لفظ: من غير أن يمسه.

وفي ذلك يقول تميم بن أسد الخزاعي:

ففي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

قال ابن عباس: ولما نزلت الآية يوم الفتح، قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: خذ مخصرتك ثم ألقها، فجعل يأتى صنماً صنماً، ويطعن فى عينه أو بطنه بمخصرته، ويقول: ﴿**جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ...**﴾، فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً، وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من قوارير أو صفر، وقال: يا علي إرم به، فحمله عليه السّلام حتى صعد و رمى به و كسره، فجعل أهل مكة يتعجبون.

وفى الرياض النضرة روى عن عليّ عليه السلام أنه قال: «حين أتينا الكعبة، قال لي رسول الله ﷺ اجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى ضعفاً مني تحته، قال لي: اجلس فجلست فنزل عني، وجلس لي رسول الله ﷺ وقال لي: اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه، فنهض بي وأنه يخيل إليّ أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت البيت».

وفي شواهد النبوّة سأل رسول الله ﷺ عليّاً حين صعد منكبه؛ كيف تراك؟

قال عليّ: أراني كأن الحجب قد ارتفعت، ويخيل إليّ أني لو شئت لنلت أفق السماء!

فقال رسول الله ﷺ: «طوبى لك تعمل للحق وطوبى لي أحمل للحق..».

قال: فصعدت البيت، وكان عليه تمثال صفر أو نحاس وهو أكبر أصنامهم، وتنحى رسول الله ﷺ فقال لي: ألق صنمهم الأكبر، وكان موتداً على البيت بأوتاد حديد إلى

الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيه إيه عالجه ﴿**جَآءَ ٱلْحَقُّ وَ زَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾. فجعلت أزاوله أو قال: أعالجه عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: اقذف به. فقذفت به فتكسر كما يتكسر القوارير، ثم نزلت.. وزاد الحاكم فما صعدت حتى الساعة.

ثم إنَّ علياً أراد أن ينزل، فألقى نفسه من صوب الميزاب تأدباً وشفقةً على النبي صلى الله عليه وآله ولما وقع على الأرض تبسم، فسأله النبي صلى الله عليه وآله عن تبسمه قال: لأني ألقيتُ نفسي من هذا المكان الرفيع، وما أصابني ألم!

قال: كيف يصيبك ألم، وقد رفعك محمد وأنزلك جبريل؟!

ويقال: إنَّ واحداً من الشعراء أشار إلى هذه القصة في هذه الأبيات، فقال:

قيل لي قل في عليّ مدحاً ذكره يخمد ناراً مؤصده

قلت لاأقدمفي مدح امرئ ضل ذو اللب إلى أن عبده

والنبيّ المصطفى قال لنا ليلة المعراج لما صعده

وضع الله بظهري يده فأحس القلب أن قد برده

وعليّ واضع أقدامه في محل وضع الله يده

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لما دخل الكعبة عام الفتح بلالاً أن يؤذن، وكان دخل معه. وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه، ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً؟!

فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته. وقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمتُ لأخبرته عني هذه الحصاة.

فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: لقد علمت الذي قلتم، ثم ذكر ذلك لهم!

فقال الحارث وعتاب: نشهد إنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك!

وليس هناك ضرورة لكي يُبقي رسولُ اللهﷺ كبيرَ أصنامهم؛ كما فعل من قبل إبراهيم عليه السلام، حينما سألوه، فوبّخهم وسخر منهم...

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾.

فقد راحﷺ يُطيح بها بعد انتصاره، وبشكل علني لا خفي، على مسمع منهم ومرأى.. فهم شهود على ما حدث لها من تحطيم وتكسير حتى خارت قواهم، وفقدوا آمالهم، ورأوا سخافة ما كانوا يعبدون هم وآباؤهم الأولون...

ولم يكتفﷺ بتحطيم الأصنام التي في البيت الحرام أن جعلهم جذاذاً، بل راح يلاحق هذه الظاهرة العبادية المشوّهة المنحرفة بكل أشكالها هنا في مكة وهناك في أماكن أُخرى، فلم ينجو ذلك الخماسي ﴿... وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾. ولا هذا الثلاثي: ﴿ٱللاَّتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلأُخْرَىٰ﴾. ولا غيرها من الأصنام وهي كثر، بعد أن كان مشركو العرب تعظّمها، وتحجُّ إليها، وتقدم لها الهدايا والنذور والذبائح.. لم ينجو شيءٌ منها من الملاحقة؛ حتى تُشتثَّ جذورُ هذه العبادات الضالة من الأرض، وتُقتلع من النفوس، ومن تاريخ الإنسان إلى الأبد:

فهذه اللات صخرة مربعة لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجَّابها بنو مُعتب من ثقيف، وقريش وجميع العرب تعظمها، فلما جاء وفد ثقيف بعد عودة النبيﷺ من فتح مكة إلى المدينة، طلب وفدها منه عليه الصلاة والسلام أن يدع لهم اللات ثلاث سنين لا يهدمها، فأبى ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة وهو يأبى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً، فأبى عليهم. وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم، ونسائهم، وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول اللهﷺ إلاّ أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها، فلما أخذ المغيرة يضربها بالمعول، خرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها ويقلن:

لتُبكينَّ دُفَّاع ... أسلمها الرُّضَّاع ... لم يُحسنوا المِصَاع

يردن بذلك: واحسرتا على التي كانت تدافع عنا أعداءنا، وتدفع عنا البلاء، قد أسلمها اللئام للهدم، فلم يدافعوا عنها، ولم يجالدوا بالسيوف في سبيلها.

وهذه العزى كانت لقريش وبني كنانة، وكانت بنخلة عن يمين المسافر من مكة إلى العراق، وكانت قريش تخصّها بالإعظام، فلما نزل القرآن يندّد بها وبغيرها من الأصنام، اشتد ذلك على قريش، ولقد بلغ من حرصها على عبادتها، أنه لما مرض أبو أحيحة وهو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف مرضه الذي مات فيه، دخل عليه أبو لهب يعوده، فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك يا أبا أحيحة؟ أمن الموت تبكي ولا بدّ منه؟

قال: لا والله، ولكن أخاف أن لا تُعبد العزى بعدي!

قال أبو لهب: والله ما عبدت حياتك لأجلك، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك.

فقال أبو أحيحة: الآن علمت أن لي خليفة!.. وأعجبه من أبي لهب شدّة نصبه في عبادتها.

فلما كان عام الفتح دعا النبيﷺ خالد بن الوليد، وأمره أن ينطلق بهدمها، فلما جاءها خالد، قال سادنها ديبة بن حرمي الشيباني:

أعُزاء شدِّي شدة لا تكذبي — على خالد ألقي الخمار وشمري

فإنك إلا تقتلي اليوم خالداً — تبوئي بذلٍّ عاجل وتنصرّي

فقال خالد: يا عُزّ كفرانك لا غفرانك — إني رأيت الله قد أهانك

لما أخبر رسول اللهﷺ بأداء مهمته، قال عليه الصلاة والسلام: تلك العزّى، ولا عزّى بعدها!!

وأما مناة، فمكانها على ساحل البحر من ناحية المشلَّل بقُديد، بين المدينة ومكة، وأشدّ العرب إعظاماً لها الأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب...

بعث رسول اللهﷺ إليها عليّاً عليه السلام، فهدمها، وأخذ ما كان لها، وأقبل به إلى

النبيّ صلى الله عليه وآله فكان فيما أخذ: سيفان، كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان أهداهما لها، والحارث هذا هو الذي قتل شجاع بن وهب الأسدي رضي الله عنه حين سلمه كتاب النبيّ صلى الله عليه وآله يدعوه للإسلام، ولم يقتل للنبيّ صلى الله عليه وآله رسول غيره أحدهما يسمى مخذماً والآخر رسوباً وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره فقال:

مظاهر سربالي حديد عليهما عقيلاً سيوف: مخذم و رسوب

فوهبهما النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام. كما يقال: إنَّ علياً وجد هذين السيفين في الفلس؛ صنم للعرب.

وقع جميع هذا تنفيذاً لإرادة السماء في إلغاء هذه الوثنية الجاهلية، وذلك بإزالة وتدمير وتحطيم كل هذه الأصنام المعبودة، التي عاثت فساداً في عقول الناس وأخلاقهم، وهم يزعمون أنها وسائط بين الإنسان وخالقه..؛ وبناء إنسان آخر يحمل ديناً وعقائد تستقيم مع سلامة الفطرة والعقول، بعد أن ارتكست الفطرة وتاهت العقول حين مضى الناس طيلة قرون مظلمة يتبعون ما زيّنه لهم إبليس، وما صنعته أيديهم، وما أصّله فيهم آباؤهم وأجدادهم وكبراؤهم، الذين يغرسون الأماني المزخرفة في نفوس الناس، أنّ لهم أصناماً من كل الألوان والأشكال والأجناس، يعبدونها، يدعونها، تستجيب لهم، تمنحهم رزقاً، تهب لهم خيراً ونصراً... فألفتها نفوسهم، واستساغتها طباعهم، دون تمحيص وتدقيق وتعقّل..؛ حتى ضلّوا ضلالاً بعيداً.[1]

وَآخِر دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

١. انظر في هذا الأصنام، للكلبي؛ والسيرة النبوية، لابن هشام؛ وأخبار مكة، للأزرقي؛ والتاريخ المفصل، لجواد علي؛ تاريخ الخميس ففيه تفصيل الأخبار عن تحطيم الأصنام؛ وغيرها من مصادر التاريخ.